السنة التاسعة (١) من الهجرة

فيها: قدم وفدُ بني أسدٍ في أولِ المحرَّم إلى المدينة، وفيهم: طُلَيْحَةُ بن خُويلد بن نوفل، وكان يُعَدُّ بألفِ فارسٍ. وكان في الوفد ضرار بن الأزور والحضرمي بن عامر، فقال حضرمي: يا رسول الله، لقيناك مُتَدَرِّعين الليل البهيم في سنة شهباء لم تبعثْ إلينا بعثاً ولم تُرسِلْ إلينا رسولاً، ثم أسلم طُليحة وأخوه سلمة والقومُ، ثم ارتدّ طُليحة وأخوه بعد وفاة رسول الله ﷺ (٢)، ويقال: إن فيهم نزل قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ [الحجرات: ١٧].

وفيها: بعث رسولُ الله ﷺ لما رأى هلال المحرم المُصَدِّقين إلى العرب، فبعث بُريدةَ إلى أسلم وغفار، وعبادَ بنَ بِشرٍ إلى سُلَيْم ومُزَيْنَة، ورافعَ بنَ مَكِيثٍ إلى جُهَيْنَةَ، وعمرو بنَ العاص إلى فَزارةَ، والضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كِلاب، وبُسْر بن سفيان إلى بني كعب، وابن اللُّتْبِيَّة الأَزْدي إلى بني ذُبْيان، وبعث رجلاً من بني سعد على صدقاتِهم.

وقيل: إنما سعى على بني كعب نُعيم بن عبد الله النَّحّام العدوي، فجاء وقد حلَّ بنواحيهم من بني تميم بنو عمرو وهم يشربون على غدير بذات الأشطاط، وقيل: وجدهم على عُسْفان، فأمر بجمع مواشي خزاعة ليأخذ منها الصدقة، فَحَسَرَتْ عليه خزاعة الصدقة من كل ناحية، فاستنكر ذلك بنو تميم وقالوا: ما هذا؟ أتؤخذ أموالكم منكم بالباطل؟ فقاموا إلى السلاح، فقال الخزاعيون: نحن قوم نَدينُ بدينِ الإسلام وهذا من ديننا، وقال التميميون: والله لا يصل إلى بعير منها أبداً، فهرب المصدِّقُ خوفاً على نفسه، والإسلام يومئذٍ لم يَعُمَّ العربَ، وقَدِمَ المُصَدِّقُ على رسولِ الله ﷺ فأخبره الخبر، وأخرجت خزاعةُ بني تميم من بلادهم، وقالوا: لولا قرابتكم لما وصلتم إلى بلادكم، ليدخُلَنَّ علينا من محمدٍ بلاءٌ وعداوة، وعلى نفوسكم، فقال

(١) في النسختين: السابعة، وهو خطأ.

(٢) ثم أسلم طليحة بعد وفاة أبي بكر، وقال ابن سعد: وأسلم طليحة إسلاماً صحيحاً ولم يغمص عليه في إسلامه، وشهد القادسية ونهاوند مع المسلمين. «الطبقات» ٦/ ١٥٦ .

رسولُ الله ﷺ: «مَنْ لِهؤلاءِ الذين فَعَلوا ما فَعَلوا»؟ فقال عيينةُ بن حِصن: أنا والله لهم، أتبع آثارهم وآتيك بهم إن شاء الله فترى فيهم رأيك أو يُسْلموا.

وخرج في خمسين فارساً من العرب ليس منهم مُهاجريٌّ ولا أَنْصاريٌّ، وكان يكمن بالنَّهارِ ويسير بالليل، حتى انتهى إلى العَرج، فاقتصَّ آثارهم فوجدهم قد عدلوا من السُّقيا يريدون أرض بني سُليم، فنزلوا في صحراء وسرَّحوا مواشيهم والبيوت خُلوف ليس فيها إلا النِّساءُ ونفرٌ، فأخذ منهم أَحَدَ عَشَرَ رَجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيّاً، وقَدِمَ بهم المدينةَ فحبسهم رسولُ الله ﷺ في دار رملة بنت الحارث[١].

وفيها: قدم وفد تميم بهذا السبب وهم عشرة من رؤسائهم: عطارد بن حاجب بن زُرارة، والزِّبْرِقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، وتميم[٢] بن سعد، وعمرو بن الأَهتَم، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث بن مجاشع، فدخلوا المسجد قبل الظهر وسألوا عن سَبْيِهم فأُخبروا أنهم في دار رملة، فجاؤوهم فبكى الذراري والنساءُ، فرجعوا حتى دخلوا المسجد ورسولُ الله ﷺ يومئذ في بيت عائشةَ رضوان الله عليها وقد أذَّن بلال الظُّهرَ والناس ينتظرون خروجَ رسول الله ﷺ، فتعجلوا خروجه، فنادَوْا: يا محمد، اخرج إلينا، فقال بلال: إن رسول الله ﷺ يخرج الآن، وخرج رسولُ الله ﷺ وأقام بلالٌ الصلاةَ فتعلقوا برسول الله ﷺ يكلِّمونه ويقولون له: أتيناك بخطيبنا وشاعِرِنا فاستمع لهم، وصلّى رسول الله ﷺ الظُّهْرَ، ثم دخل بيته فصلى ركعتين، ثم خرج فجلس، فقام عطارد بن حاجب فخطب وقال:

الحمد لله الذي له الفضل علينا، والذي جعلنا ملوكاً وأعطانا الأموال نفعل بها المعروف، وجعلنا أَعزَّ المَشْرِق وأكثرهم مالاً وعدداً، فمن مِثْلُنا في الناس، فمن فاخَرنا فَلْيُعَدِّدْ مثلَ ما عَدَّدْنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكنا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله، أقول هذا إلا أن يأتي من يقولُ ما هو أفضل منا[٣].

فقال رسولُ الله ﷺ لثابت بن قيس بن شمّاس: «قُم فأَجِبهُم» فقال: الحمد لله الذي

(١) «المغازي» ٣/ ٩٧٣ ـ ٩٧٥.

(٢) ذكره ابن حجر في «الإصابة» ١/ ١٨٥ وقال: كان في وفد تميم الذين قدموا وأسلموا، وذكره أيضاً ٣/ ٥٦٧ في نعيم وقال: ذكره ابن سعد فيمن قدم في وفد تميم.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٥٦٢.

خلق السماواتِ والأرضَ، وقضى فيهما أمره، ووَسِعَ كلَّ شيءٍ علمُهُ، ثم كان فيما قدَّر لنا وأنعَم علينا أن اصطفى من خلقه رسولاً، أكرم الناس نَسباً، وأشرفهم حسباً، وأحسنهم زِيّاً، وأصدقهم حديثاً، أنزلَ عليه كتابَهُ، وجعله أميناً على خلقه، وكان خِيرته من عباده، فدعا إلى الإيمان بالله، فآمن به المهاجرون من قومه، ثم كنا أول الناس إجابةً له، فنحن أنصارُ الله ورسولِهِ، نقاتِلُ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلّا الله، فمن آمن بالله ورسوله مَنع منّا دمَه وماله، ومن كفر بالله ورسولِهِ جاهدناه وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. ثم قَعَدَ.

فقالوا: يا رسولَ الله، ائذن لشاعِرنا، فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فقال: [من البسيط]

نحن الملوك فلاحيٌّ يعادِلُنا ... فينا الملوك وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ
وكم قَسَرْنا من الأحياءِ كُلِّهِمُ ... عند النِّهابِ وفَضلُ الخير يُتَّبَعُ
ونحن نُطعِمُ عند القَحْطِ ما أكلُوا ... من السَّديفِ إذا لم يُؤنَسِ القَزَعُ
وننحر الكُومَ عَبْطاً في أرومتِنا ... للنَّازلين إذا ما استُنْزِلوا شَبِعوا
ولا ترانا إلى حَيٍّ نُفَاخِرُهم ... إلا استَعاذوا وكادَ الرأسُ يُقْتَطَعُ
فمَن يُفاخِرُنا في النَّاس نَفْخَرُهُ ... فيَرجعُ القَولُ والأخْبارُ تُستَمَعُ

فقال رسول الله ﷺ لحسان: «يا حسانُ، أَجِبْ» فقام فقال: [من البسيط]

إنَّ الذَّوائبَ من فِهْرٍ وإخْوَتِهم ... قد شرَّعوا سُنَّةً للناسِ تُتَّبَعُ
أكرِمْ بقومٍ، رسولُ الله شِيعتُهم ... إذا تفرَّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
وأنَّهم أفْضَلُ الأحياءِ كُلِّهِم ... إنْ جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا
قومٌ إذا حاربوا رَدُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حاوَلُوا النَّفْع في أشْياعِهم نَفَعوا
إن كان في الناس سَبَّاقون بَعدهُمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدْنى سَبقهم تَبَعُ
أَهْدى لهم مِدَحاً قلبٌ يُؤازِرُهُ ... فيما أحب لسان حائكٌ صَنَعُ

من أبيات(١).

---

(١) المغازي ٣/ ٩٧٧ ـ ٩٧٨، والسيرة ٢/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤.

وخلا الوفد بعضهم إلى بعض فقالوا: والله خطيبُهم أبلغُ من خطيبنا، وشاعرهم أشعرُ من شاعِرنا وهم أَحْلَمُ منّا، وأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: ٤] وردَّ رسول الله ﷺ الأسرى والسبي وأجازهم فأحسن جوائزهم، وكان عمرو بن الأهتم في رِحالهم وظَهْرِهم ومن أحدثهم سِنّاً، وقيس بن عاصم يبغضه فقال: يا رسول الله إنه قد تخلَّفَ غلام منا في رحالِنا وهو حَدَثٌ لا شرَف له، فقال رسول الله ﷺ: «وإن كان فإنَّه وافدٌ وله حقٌّ». فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ماأعطى واحداً من القوم، وبلغ عمراً فقال يهجو قيس بن عاصم: [من البسيط]

ظَلِلْتَ تغتابُني سِرّاً وتشتُمني ... عند الرسول فلم تصدقْ ولم تُصِبِ
سُدْناكمُ سُودَداً رَهْواً(١) وسؤدَدُكم ... بادٍ نواجذهُ مُقْعٍ على الذَّنَبِ
إن تُبغضونا فإن الرومَ أصلُكُمُ ... والروم لا تملكُ البغضاءَ للعرب

وقال أبو إسحاق الثعلبي: جاءت بنو تميم إلى رسول الله ﷺ فنادوا على الباب: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدحَنا زَيْنٌ وذمنا شيْنٌ، فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: «إنما ذلكم الله، مدحُه زَيْنٌ وذمُّه شَينٌ». فقالوا: نحن أناسٌ من بني تميم جئنا بشاعِرنا وخطيبنا لنُشاعِرَكَ ونفاخِرَكَ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما بالشِّعرِ بُعثتُ، ولا بالفخارِ أُمرتُ ولكن هاتوا» فقال الزبرقان لشاب فيهم: قم فاذكر فضْلَكَ وفضْلَ قومك، وذكر بمعنى ما تقدم.

ثم إن حسانَ بنَ ثابتٍ أنشد بعد إجابته لشاعرهم بالأبيات المتقدمة: [من الطويل]

نصرنا رسولَ الله والدينَ عَنْوَةً ... على رُغْمِ عاتٍ من مَعَدٍّ وحاضِرِ
فأَحياؤنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الحَصا ... وأمواتُنا من خيرِ أَهْلِ المقابرِ

فقام الأقرع وقال: قد قلت شعراً فاسمعه مني، فإني ما جئت لِما جاءَ له هؤلاء، فقال: «هات» فقال: [من الطويل]

أتيناكَ كَيْما يَعْرِفَ الناسُ فَضْلَنا ... إذا جاء أَمْرٌ عند ذكر المكارمِ

(١) في النسخ: نهزاً، والمثبت من السيرة ٢/ ٥٦٧ ، وانظر المغازي ٣/ ٩٨٠ .

وأَنا رُؤوسُ الناس من كل معشر وأن ليس في أرض الحجاز كَدارِمِ
وأَنَّ لنا المِرْباعَ في كلِّ غارَةٍ تكون بنَجدٍ أو بأَرْضِ التَّهائم

فقال رسول الله ﷺ: «يا حسان أجبه» فقال: [من الطويل]

بني دارم لا تَفْخروا إنَّ فَخركُم يعود وَبالاً عند ذِكْرِ المكارمِ
هَبِلْتُم، علينا تفخرون؟ وأَنْتُم لنا خَوَلٌ مِنْ بين ظِئرٍ وخادِمِ

فقال رسول الله ﷺ: «لقد كُنْتَ غَنيّاً يا أَخا بني دارمٍ أن تذكرَ الناس ما كانوا قد نَسوه» فكان قوله ﷺ أشدَّ من قول حسان.

ثم عاد حسان إلى شعره فقال:

فإن كُنْتُمُ جِئتُم لحقْنِ دمائِكم وأموالِكم أن تُقْسَموا في المقاسِمِ
فلا تجعلوا لله نِدّاً وأَسْلِموا ولا تَفْخَروا عِنْدَ النبي بدارِمِ
وإلاَّ وربِّ البيتِ مالت أكفُّنا على هامِكم بالمرهفاتِ الصوارمِ

فقال الأقرع: والله إن محمداً لَمُؤْتى له! تكلَّمَ خطيبُهم فكان أحسنَ قولاً، وتكلَّم شاعرهم فكان أشعرَ من شاعِرنا، ثم قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك محمدٌ رسولُ الله.

فقال النبي ﷺ: «ما يَضُرُّكَ ما كان قَبْلَ هذا». ثم أعطاهم وكساهم وارتفعتِ الأصواتُ عند رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ [الحجرات: ٢] الآيات، يعني جفاة بني تميم[١].

* * *

وفيها: كانت سرية قُطبَة بن عامر إلى الخَثْعمِ، في صَفَر[٢].

وفيها: كانت سرية الضَّحَّاكِ بنِ سفيان الكلابي إلى القُرَطاءِ إلى بني كِلاب في ربيع الأول[٣].

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٢٢ ـ ٥٢٤، والخبر بتمامه في «تاريخ دمشق» ١٢/ ٤٠٩ ـ ٤١١، وانظر «السيرة» ٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٧.
(٢) «المغازي» ٣/ ٩٨١، و«الطبقات» ٢/ ١٤٨، و«المنتظم» ٣/ ٣٥٨.
(٣) «المغازي» ٣/ ٩٨٢، و«الطبقات» ٢/ ١٤٩، و«المنتظم» ٣/ ٣٥٩.

openkandil.com

وفي ربيع الأول وَفَدَ وَفْدُ عبد قيسٍ إلى المدينة.

قال الواقدي: كتب رسول الله ﷺ إلى البحرين أن يَقْدُمَ عليه عشرون رجلاً من عبد القيس، فقدموا ورَأْسُهم: عبدُ الله بن عوف الأشجُّ، وفيهم الجارود العبدي، ومنقذ بن حيان، فقال رسول الله ﷺ: «مرحباً بكم وأهلاً، نِعْمَ الوَفْدُ وَفْدُ عَبْدِ القَيْس، أيُّكم الأشجُّ» وكان دَميماً فقال: أنا، فنظر رسول الله ﷺ، فقال الأشجُّ: يا رسول الله، المرءُ بأَصْغَرَيْهِ قلبِهِ ولسانِهِ، فقال له: «فيك خَصْلتان يحبهما الله ورسوله: الحِلْمُ والأناةُ» فقال: أشيء حدث أم جُبِلْتُ عليه؟ فقال: «لا بل جُبِلْتَ عليه»، وكان الجارودُ نصرانياً فأسلم وحسن إسلامَهُ، واسمه بشر، وأنزلهم رسولُ الله ﷺ دار رملة ومسح على وجه منقذ بن حيان، ثم أعطاهم جوائزهم وأحسن إليهم وانصرفوا[(١)].

وفيها: كانت سرية الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب، غير السرية الأولى[(٢)].

وفيها: وَفْدُ بكر بنِ وائل، في ربيع الأول، وكان فيهم بشير بن معبد السَّدوسي وأُمُّهُ الخَصاصيّة أزْدِيَّةٌ، قال هشام: هي أُمُّ أَحدِ أجدادِهِ، وأسلم وحَسُنَ إسلامه وصار من أهل الصُّفَّةِ، وماشى رسول الله ﷺ يوماً فأخذ بيده وقال له: «يا ابن الخصاصية، ما أصبحت تنقم على الله حيث أصبحتَ تُماشي رسول الله»؟ فقال: ما أصبحت أَنْقِمُ شيئاً، قد أعطاني ربي كل خير[(٣)].

وكان في الوفد حسَّانُ بنُ حَوْط، بحاءٍ مهملة، وفيه يقول بعض ولده[(٤)]: [من الرجز]

أنا ابنُ حسان بن حوطٍ وأبي
رسولُ بكرٍ كلها إلى النَّبي

* * *

(١) انظر «الطبقات» ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) لم نقف عليها ولعلها كانت في بعثه على الصدقات.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٧٨٧).

(٤) «الطبقات» (١/ ٢٧٢).

وفيها: كانت سرية علقمة بن مُجَزِّز المُدْلجي إلى جُدَّة في ربيع الآخر[١]، بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تَراآهُمْ أهلُ الشُّعَيْبَةِ: ـ ساحلٍ بناحية مكَّةَ ـ في مراكِب، فبعث علقمةَ في ثلاث مئة رجلٍ، فانتهى إلى جزيرة في البحر، فخاضَ الماءَ إليهم فهربوا مِنه فانْصَرف، فلما كان ببعض المنازل استأذنه بعض الجيش في الانصراف حيث لم يَلْقَوا كَيْداً، فأذِنَ لهم، وأمّر عليهم عبدَ الله بنَ حُذافةَ السَّهْمي، وكان فيه دُعابةٌ فنزلوا ببعض [الطريق] وأوقدوا ناراً يصطلون بها، فقال عبدُ الله: عزمت عليكم إلا تواثبتُم في هذه النار، فقام بعض القوم فتحجَّزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها قال: اجلسوا، إنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «مَن أَمَرَكُم بمَعصِيَةٍ فَلا تُطيعُوهُ»[٢].

وفيها: كانت سرية علي رضي الله عنه في ربيع الآخر إلى الفُلْسِ[٣] صنمِ طَيّئ، بعثه رسولُ الله ﷺ في خمسين ومئة رجلٍ من الأنصار على مئة بعير وخمسين فرساً، فأجنبوا الخيل واعتقبوا الإبلَ حتى أغاروا على حيٍّ من أحياء العرب، وسألوا عن محلَّةِ آلِ حاتمٍ فَدُلُّوا عَليها، فشنُّوا الغارة مع الفجر فسَبَوْا حتى ملؤوا أيديهم من السبي والنَّعم والشاء، وهَدَموا الفلْسَ وكان صنماً لطيء.

وفي رواية: خرج ومعه رايةٌ سوداء مع سهل، ولواء أبيض مع جبار بن صخر، وبين يديه دليلٌ خِرِّيتٌ، فسلكَ بهم طريق فَيْد، فلما انتهى بهم إلى موضع قال: قد بقي بينكم وبين الذي تُريدون يوم، فإن سرتم نهاراً رآكم رعاؤهم فيُنْذِروا بكم، ولكن أقيموا يومكم هاهنا ونمشي ليلتنا فَنُصَبِّحُهم في عماية الصبح، فنزلوا وسرَّحوا إبلهم، فبعث علي رضوان الله عليه أبا قتادة والحُبابَ بنَ المنذر وأبا نائلة على خيولهم يطوفون حول العسكر، فوجدوا غُلاماً أسودَ، فقالوا: من أنت؟ فقال: أطلب بُغْيتي، فأتَوْا به عَليّاً فشدد عليه، فقال: أنا غلام من طيء، بعثوني إلى هذا المكان وقالوا: إن رأيت خيل محمد فَطِرْ إلينا. فقال علي رضوان الله عليه: ما تَرَوْنَ؟

---

(١) «السيرة» ٢/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠، و«المغازي» ٣/ ٩٨٣، و«الطبقات» ٢/ ١٤٩، و«المنتظم» ٣/ ٣٥٩.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٦٣٩).

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٨٤، و«الطبقات» ٢/ ١٥٠، و«المنتظم» ٣/ ٣٦٠.

فقال جبار بنُ صَخْرٍ: أرى أن نَسري ليلاً على خيلنا والعبدُ معنا حتى نصَبِّحَهُم، فقال: سيروا واجعلوا العبد دليلاً وهو مكتوف يردفه بعضهم عقبه، فلما ابهارَّ الليل وقف وقال: أخطأت الطريق وتركْتُها ورائي فرجع بهم مقدارَ ميل ثم قال: أنا على خطأ، فقال علي رضوان الله عليه: أنا منك على خُدَعة، قدِّموه فاضْرِبوا عنقه. فلما رأى السيف قال: أرأيتكم إن صدقتكم أينفعني؟ قالوا: نعم، قال: فإني صنعت ما رأيتم لأنه أدركني ما يدرك الناس من الحياءِ فقلتُ: أقبلتُ بالقوم أدلهم على الحي من غير مِحْنَةٍ، فلما عايَنْتُ القتل كان لي عذرٌ، الحيُّ منكم قريب. فتَسمَّعوا نُباحَ الكلاب، فصبَّحوهم وَقت السَّحَر وسَبَوْا وأخذوا النِّساء والأموال، فنظرت جاريةٌ إلى العبد وهو موثوق فقالت: هذا عمل رسولِكم أَسْلَمَ، فقال: يا ابنة الأكارم والله ما فعلت حتى قُدِّمْتُ لتُضْرَبَ عنقي.

وأصابوا أُخْتَ عدي بن حاتم فعزلوها ناحِيةً[١].

وقال هشام: جعل رسول الله ﷺ أخت حاتم في حظيرة، فمرَّ بها رسول الله ﷺ فنادته: يا محمد أنا ابنةُ سيد قومي، كان أبي يحمي الذِّمارَ، ويفكُّ العاني، ويَقْري الضَّيْفَ، ويُشْبعُ الجائع، ويُطْعِمُ الطعامَ، ولم يردَّ طالبَ حاجةٍ قط. فقال لها رسول الله ﷺ: «هذه صِفَةُ المؤمنينَ، لو كانَ أبوكِ مُؤمناً تَرحَّمنا عليه، أَطلِقُوا عنها، فإنَّ اللهَ يُحبُّ مكارِمَ الأَخلاقِ».

* * *

وفي ربيع الآخر قدم وفْدُ تُجيب، وكانوا ثلاثة عشر، ساقوا صدقاتِ أموالِهم إلى رسولِ الله ﷺ فسُرَّ بهم وأنزلهم وأحسن إليهم وأجازهم بأكثر مما كان يجيزُ الوفود، وقال: «هل بقي منكم أحد»؟ قالوا: غلام خَلَّفْناهُ في رحالنا، فدعاه وقال: «ما حاجتُكَ»؟ فقال: أن تدعو لي بأن يغفر الله لي ويجعل غِنايَ في قلبي، فدعا له، وأمر أن يُعطى مثل ما أعطى واحداً مِنْهم، ورجعوا إلى بلادهم، ثم وافَوْا رسول الله ﷺ بالموسمِ سَنَةَ عشر فسألهم عن الغلام، فقالوا: ما رأينا أقنع منه بما رزقه الله تعالى،

(١) «المغازي» ٣/ ٩٨٤ ـ ٩٨٧.

فقال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن نموت جميعاً» فمات الغلامُ ورسولُ الله ﷺ في يوم واحدٍ[١].

* * *

وفي ربيع الآخر بعثَ رسولُ الله ﷺ الوليدَ بن عُقْبة بن أبي مُعَيْطٍ مُصَدِّقاً إلى بني المصطلق من خُزاعةَ وكانوا قد أسلموا وبَنَوُا المسجد، فلما دنا منهم الوليد خرج إليه عشرون رجلاً يتَلَقَّوْنه بالجزور والغنم فرحاً به، فلما رآهم ولَّى راجعاً إلى المدينةِ وأخبرَ رسولَ الله ﷺ أنَّهم لقوْه بالسلاح وحالوا بينه وبين الصدقةِ، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم، وبلغ القوم، فقدم عليه الذين لقوا الوليد وقالوا: يا رسول الله هل ناطقَنا أو كَلَّمنا كلمةً واحدةً؟ فأنزل الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ الآية [الحجرات: ٦]. وقيل: كان بين الوليد وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمعوا به تلقَّوْه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فظنَّ أنهم يريدون قتله فهابهم ورجع[٢].

وفيها: قدم عدي بن حاتم إلى المدينة في جمادى الأولى.

قال عدي بن حاتم: ما كان رجلٌ من العرب أشدَّ كراهيةً لرسولِ الله ﷺ مني، لأني كنت رجلاً نصرانياً شريفاً في قومي مَلِكاً عليهم، فخِفْتُ على مُلْكي ونَفْسي، فقلت لغلامي: أَعْدِدْ لي إبلاً سِماناً فاحْتَبِسْها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش محمد وطئَ البلاد فآذنِّي، فجاء يوماً فقال: هذه جيوشُ محمد، فاحتملتُ بأهلي وقلت: أَلحقُ بالشام فأكون عندَ النَّصارى، وخلَّفتُ ابنةَ حاتمٍ بالحاضِر، وجاء علي بن أبي طالب فأصابها فيمن أصابَ وقدم بها على رسولِ الله ﷺ في سبايا طيّءٍ، وبلغ رسولَ الله ﷺ هربي إلى الشام، فجعل ابنة حاتم في حظيرةٍ، وذكر بمعنى ما تقدم من قولها: هلك الوالد وغاب الوافد، فلما كان في اليوم الثالث قال لها: «قد مَنَنْتُ عليك فلا تخرجي حتى تجدي من قومك ثِقةً». قالت: فقدم قوم من قُضاعة فَقلت: يا رسولَ الله قد قدم ركبٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغٌ، قال: فكساني وأعطاني وحملني ودفع إلي نفقةً،

---

(١) «الطبقات» ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) «السيرة» ٢/ ٢٩٦، و«المغازي» ٣/ ٩٨٠، و«الطبقات» ٢/ ١٤٨.

فخرجتُ معهم حتى قدِمْتُ الشامَ.

قال عدي: فواللهِ إني لقاعدٌ في قومي إذ نظرت إلى ظعينةٍ تضرب إليّ، فقلت: ابنةُ حاتم؟! فإذا هيَ هيَ، قال: فخرجتُ، فقدِمْتُ على رسولِ الله ﷺ وهو في مسجده، فسلَّمْتُ عليه فقال: «مَنِ الرجُلُ»؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام وانطلق بي إلى منزله، فلقيته امرأة ضعيفةٌ فاستوقفَتْه فوقف لها، فكلَّمَتْهُ في حاجتها فقضاها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملِكٍ، ثم دخل بيته وناولني وِسادةً من أدَمٍ حَشوُها من ليف وقال: «اجلِسْ عليها» فجلست عليها وجلس هو على الأرض، فقلت في نفسي: والله ما هذا بمَلكٍ، ثم قال: «إيهِ يا عديُّ، أَلَمْ تَكُ رَكوسِيّاً»؟ قلت: بلى، قال: «أَلَم تَسِرْ في قَومِكَ بالمِرْباعِ»؟ قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يك في دينك».

الركوسيون: قرية من النصارى والصابئين. والمِرْباعُ: ما يأخذُه المقدَّمُ من الغنيمة، ومعناه: أن الغنائم لم تَحِلَّ لأحد إلا لهذه الأمَّة.

فقلتُ في نفسي: هذا نبيٌّ مرسلٌ يعلم ما نجهل، فقال: «لعلَّه إنما يمنعُكَ مِن الدُّخولِ في هذا الدِّينِ ما تَرَى من حَاجَتِهم، فو اللهِ لَيوشِكُ أن يَفيضَ المالُ فيهم، حتى لا يُوْجَدَ من يأخُذُهُ، [ولعلَّك إنما يمنعُكَ ما ترى مِن كَثرةِ عَدوِّهم وقلَّةِ عددِهم، فَواللهِ ليوشِكَنَّ يُسمع بالمرأةِ تخرجُ من القادسيَّةِ على بعيرٍ، حتى تزورَ هذا البيت لا تخافُ][١]، ولعلَّكَ إنما يمنعُكَ مِن الدُّخولِ فيه ما ترى من المُلكِ والسُّلطانِ، فَواللهِ لَيوشِكَنَّ أن تَسْمَع بالقُصُورِ البيضِ في أَرْضِ بابلَ قد فُتِحَتْ».

وأسلم عدي وكان يقول: قد مضت اثنتان وبقيت واحدة، رأيتُ القصورَ البيضَ قد فُتِحَتْ، ورأيت الظَّعينةَ تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تأتي، وايْمُ اللهِ ليفيضَنَّ المالُ حتى لا يوجد من يأخُذُهُ[٢].

* * *

(١) ما بين معقوفين زيادة من «الطبقات».

(٢) «السيرة» ٢/ ٥٧٨ ـ ٥٨١، و«الطبقات» ٦/ ٢١٤ ـ ٢١٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١١٢ ـ ١١٥.

وفي جمادى الآخرة قدم على رسول الله ﷺ واثِلَةُ بن الأَسْقَعِ وهو يتجهَّزُ إلى تبوك فأسلم، ورجع إلى قومه فهجره أبوه وقال: والله لاأكلمه أبداً، وسمعته أختُه فأسلمت وجهَّزتْهُ إلى تبوك، فلحق برسولِ الله ﷺ فجهزه مع خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دومةَ، فجاء بسَهْمه من الغنيمةِ إلى كَعْب بن عُجْرَةَ، وكان قد حمله من المدينة إلى تبوك على جمله، وكان واثلةُ قد قال: من يَحْمِلُني وله سهمي؟ فقال له كعب: إنما حملتُك للهِ، ولم يأخذْ منه شيئاً(١).

وفيها: كانت غزاة تبوك(٢).

كانت الأنباط يَقْدُمونَ المدينة من الشام بالزيت ودقيقِ الحُوَّارَى، فكانت أخبارُ الشام عند المسلمين بهذا السبب، فقدمت قادمةٌ مِنْهم فأخبروا أن الرومَ جمعت جموعاً كثيرةً بالشام، وأنَّ هِرَقْلَ رَزَقَ أصحابه رِزْقَ سَنةٍ، وأجلبت معه لَخْم وجُذامٌ وغَسَّان وعاملةٌ وغيرهم، ونزلوا البلقاء، وعسكروا بها، وتخلف هِرَقلُ بحمص، وأنه يأتي إليهم ويقصدون الحجاز.

قال الواقدي: ولم يكن شيء من ذلك ولم يكن عدوٌّ أخوف [عند المسلمين منهم]. وكان رسولُ الله ﷺ لا يغزو غزاةً إلا ورّى بغيرها لئلا تذهب الأخبارُ حتى كانت غزاةُ تبوك، كان الحرُّ شديداً واستقبل سفراً بعيداً وعدواً كبيراً، فجلَّى للناسِ أمره ليتأهبوا، وأخْبَرهم بالوجه الذي يريد، واستنفر القبائل وأهل مكّةَ، ورغَّبهم في الجهادِ، وذلك في زمنِ عسْرَةٍ من الناس وجَدْبٍ من البلاد وحين طابت الثِّمارُ، فالناس يحبون المقامَ في ثمارهم وظلالهم، وتكرهُ الشُّخوصَ عنها.

وأمر رسولُ الله ﷺ بحمل الصدقات، فأول من جاء أبو بكر رضوان الله عليه بمالِهِ كلِّه، وهو أربعةُ آلاف درهم، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أبقيت شيئاً»؟ قال: أبقيتُ الله ورسولَه.

وجاء عمرُ رضوان الله عليه بنصف ماله فقال له رسول الله ﷺ: «هل أبقيت شيئاً»؟

(١) «المغازي» ٣/ ١٠٢٨، و«الطبقات» ٥/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) «السيرة» ٢/ ٥١٥، و«المغازي» ٣/ ٩٨٩، و«الطبقات» ٢/ ١٥٠، و«تاريخ الطبري» ٣/ ١٠٠، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٢١٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٦٢، و«البداية والنهاية» ٥/ ٢.

قال: نعم نصف مالي، وبلغه ما جاء به أبو بكر رضوان الله عليه فقال: والله ما استَبَقنا إلى خَيْرٍ قط إلا سبقني إليه أبو بكر.

وجهَّز عثمان بن عفان رضوان الله عليه ثلثَ الجيشِ، وقيل: جاء بألف بعير وألفِ دينار فصبَّها في حِجْرِ رسول الله ﷺ فجعل يقلبها ويقول: «ما ضرَّ عثمانَ ما فعل بعد هذا».

وحمل عبدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ رضي الله عنه مئتي أُوْقية، وحمل معظم الصحابة رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ، وحمل العباس وطلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مَسلمة مالاً، وحمل عاصم بنُ عديٍّ تِسْعينَ وَسْقاً من تَمْرٍ[١].

وقال هشام: جلسَ رسولُ الله ﷺ على المنبر وحضَّ على الصدقة في سبيل الله، فجاءه العباسُ عمُّه بسبعين ألفاً، وعثمان بألف دينار ومئتي بعير.

وقال ابن إسحاق: أنفق عثمان رضوان الله عليه في ذلك الوجه نفقةً عظيمةً لم ينفق أحدٌ أعظمَ منها، وحمل على مئتي بعير[٢].

وحمل كلُّ أحد حتى النساء كن يبعثْن بمعاضِدِهن وخلاخيلهن وخواتيمهن وغير ذلك.

وضرب عسكرُ رسولِ الله ﷺ في ثنيَّةِ الوداع والناس كثير لا يجمعهم كتاب ولا ديوان، واستخلف رسولُ الله ﷺ على المدينة سِباعاً الغفاري، وقيل: محمد بنَ مَسْلَمةَ، وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، وخلَّفَ علياً رضوان الله عليه في أهله، فقال: يا رسول الله خلَّفتني في النساء والصبيان؟ فقال: «ألاَ تَرضَى أَن تكُونَ منِّي بمنزِلَةِ هارُونَ من موسى»[٣].

وعقد رسولُ الله ﷺ الألوية والراياتِ على الثنية، فدفَع لواءَه الأعظمَ إلى أبي بكر

(١) «المغازي» ٣/ ٩٩٠ ـ ٩٩١.

(٢) «السيرة» ٢/ ٥١٨.

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٥١٩، والحديث أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

رضوان الله عليه، ورايته العظمى إلى الزبير ﷺ، وراية الأوسِ إلى أُسَيْد بن حضير، ولواءَ الخزرج إلى أبي دُجانةَ، وقيل: إلى الحباب بن المنذر.

وكانوا يرحلون عند مَيْلِ الشمس فما يزالون إلى الليل[١]. وكان سيرُهم في خامسِ رجب، وقيل: في عاشره.

وكان قد تخلف عن رسول الله ﷺ نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النِّيَّةُ من غير شكٍّ منهم ولا ارتيابٍ، فمنهم: كعبُ بن مالك، ومُرارةُ بن الربيع، وهلال بن أمية، وأبو خيثمة[٢].

ولما سار رسولُ الله ﷺ إلى تبوك كان يتخلف رجلٌ، فيقولون: يا رسول الله تخلَّف فلان فيقول: «دعوه، إن يكُ فيه خَيْرٌ، فَسَيُلْحِقُه الله بكم، وإن يك غير ذلك، فقد أراحكم الله منه»، فلاح راكبٌ فقال رسول الله ﷺ: «كُن أبا ذَرٍّ» فقالوا: هو أبو ذر، فقال: «يَرحمهُ اللهُ يَمشِي وَحدَهُ»[٣].

ورجع أبو خيثمة بعد مسير رسول الله ﷺ إلى أهله في يوم حارٍ، فوجد امرأتين له قد رشَّت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماءً وهيأت له فيه طعاماً، فلما نظر إلى ذلك قال: رسولُ الله ﷺ في الضِّحِّ والريحِ والحرِّ، وأبو خيثمةَ في ظلٍّ وماء بارد وطعام مهيَّأٍ وامرأة حسناء، مقيمٌ في ماله، ما هذا بالنَّصَفِ، ثم قال لأهله: لا أدخل عريشَ واحدةٍ منكما حتى ألحق برسولِ الله ﷺ فهيِّئا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدَّم ناضِحَه وارتحل في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه بتبوك حين نزلها، وقد كان وافق عُمَيْر بنَ وهبٍ الجمحيَّ في الطريق فقال له: تخلَّفْ عني فلي ذنب، فلما دنا قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبلٌ، فقال رسول الله ﷺ: «كُن أبا خَيثمةَ» فلما وصل إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبَرَ فدعا له وقال خيراً[٤].

وحين مرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْرِ ونزله ليستقي الناس من بئرها قال: «لا تشربوا من

---

(١) «المغازي» ٣/ ٩٩٦.

(٢) «السيرة» ٢/ ٥١٩.

(٣) «السيرة» ٢/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤، و«دلائل النبوة» ٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٤) «السيرة» ٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١.

مائها ولا تَتوضَّؤا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فأعلِفُوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً» ثم ارتحل حتى نزل على البئرِ التي كانت تشرب منها الناقة، وأسرع الناسُ إلى دخولِ الحِجْر فقال رسول الله ﷺ: «ما تَدخُلونَ على قوم غَضِبَ اللهُ عليهم؟».

ولما نهاهم عن الشُّربِ من مياه الحجر قال: «لا يَخرجنَّ أَحدٌ منكم اللَّيلةَ إلا وَمَعه صاحبٌ له» ففعل الناس ما أمرهم به، إلا رجلين من بني ساعدة، خرجَ أحدهما لحاجته، والآخَرُ في طلب [بعيرٍ له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ، وأما الذي ذهب في طلب] بعيره فاحتَملته الريحُ فطرحَتْه بجبلِ طيّء، فأُخْبِرَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «أَلَم أَنهكُمُ أن يخرجَ رَجلٌ منكم إلا وَمَعه آخَرُ» ثم دعا لِلَّذي خُنِقَ فشفي، وأما الآخر فإن طيِّئاً أهدته للنبي ﷺ لما قَدِم من تبوك[1].

وأصبح الناسُ في طريق تبوك على غير ماء، فشكَوْا إلى رسولِ الله ﷺ العطشَ. قال عبد الله بن أبي حدرد: فرأيته استقبل القبلةَ فدعا، ولا والله ما رأيت في السماء سحاباً، فما برح يدعو حتى إني لأَنْظُرُ إلى السحاب يتألف من كل ناحية، فما رامَ مقامَه حتى سحَّت علينا السماءُ بالرِّواءِ، ثم كشف الله عنا السماء من ساعتها وإنِ الأرضُ [إلا غدر تناخس فسقى الناس وارتَوَوا][2]، فقلتُ لرجل من المنافقين: أبقي بعد هذا شيء؟ فقال: سحابةٌ مارةٌ[3].

ثم إن رسول الله ﷺ سار، حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقتُه، فخرج أصحابه في طلبها وعنده عُمارةُ بنُ حَزْمٍ الأنصاري، وكان في رَحْلِ عُمارةَ زيدُ بنُ اللُّصَيْت، فقال زَيدٌ: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ لعمارة: «إنّ رجلاً قالَ كذا وكذا، وإني لا أعلمُ إلا ما علَّمني الله، وقد دلَّني الله عليها، وإنها في الوادي الفُلاني قد حبستها شجرة بزمامها». فانطلقوا فجاؤوا بها، فرجع عمارة إلى رحله فأُخْبِرَ الخبرَ فقال رجلٌ: إنَّ زَيْداً قال هذه المقالةَ قبلَ أن يأتي، فقام إلى زيد فوجأ عنقه وقال: يا عدو الله، في رَحْلي داهيةٌ ولا أدري، أُخْرُج عني. فيقال: إن زيداً تاب، وقيل: لم يزل مُصِرّاً حتى هلك[4] والله أعلم.

(١) «السيرة» ٢/ ٥٢١ ـ ٥٢٢، وما بين حاصرتين منه.

(٢) في النسخ الخطية: «وإن الأرض لا عذراً فسقى وأروى» والمثبت من «المغازي».

(٣) «المغازي» ٣/ ١٠٠٨ ـ ١٠٠٩.

(٤) «السيرة» ٢/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

obeikandl.com

حديثُ مسجدِ الضِّرار

قال يزيد بن رومان: أقبلَ رسولُ الله ﷺ حتى نزل بذي أَوان، وقد جاءه من أصحاب مسجد الضرار: مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْر، وثعلبة وخِذَام، وأبو حبيبة، وعبد الله بن نَبْتَل، فقالوا: يا رسولَ الله إنّا رُسُلُ مَنْ خَلْفَنَا من أصحابنا، وإنا قد بنينا مسجداً لذي العِلَّةِ والحاجةِ والليلةِ المطيرةِ، ونحن نحبُ أن تأتِيَنا فتصليَ بنا فيه ـ ورسولُ الله ﷺ يتجهز إلى تبوك ـ فقال: «إني على جَناحِ سفر، فإذا قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلَّيْنا بكم فيه»، فلما عادَ من تبوك ونزل بذي أوان، أتاه خبره وخبر أهلِهِ من السماء، وكانوا إنّما بَنَوْهُ لأبي عامرٍ الراهبِ، فكان بالشَّام هارباً، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فابنوا لي مسجداً، فإني قادمٌ بخيول الروم من عند قيصر فأُخْرِجَ محمداً وأصحابه، وكان الذي بنوه اثني عشر[(١)].

وقال الثعلبي: جاء المنافقون إلى رسولِ اللهﷺ فسألوه أن يصلِّيَ فيه، فدعا بقميصِهِ ليلبَسه ويأتيَهم فأنزل الله عليه خبرَ السماء وما هموا به، فدعا مالكَ بنَ الدُّخشُم ومعن ابن عدي وعامر بن السَّكَن وقال: «اذهَبُوا إلى هذا المسجدِ الظَّالمِ أهلُه فاهدموه»[(٢)].

وقال ابن إسحاق والواقدي: بعث مالك بن الدخشم وعاصم بن عدي وقال لهما: «انطَلِقا إلى هذا المسجدِ الظالمِ أهلُهُ فاهدماهُ واحرقاه». فخرجا مُسْرِعَيْنِ، وأخذ مالك سَعَفاً من النخل وأشعل فيه ناراً، وانتهيا إليهم بين المغرب والعشاء وهم فيه وإمامهم يومئذ مُجَمِّعُ بن جارِيَة، قال عاصم: فأَحْرقْناه وهدمناه وثبت فيه منهم زيدُ بن جارية بن عامر فاحترقَتْ إِلْيَتاهُ، وجعَلْناهُ مع الأرض وتفرَّقُوا، فلما قِدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ أعطاه لعاصم بن عديٍّ يتخذه داراً، فقال: ما كنت لأَتَّخِذَ مسجداً ـ قد نزل فيه ما نزل ـ داراً، وإني لفي غِنىً عنه، أَعْطِه يا رسول الله ثابتَ بن أقرم، فأعطاه ثابتاً، وكان قد احترق معه دار وديعة بن ثابت ودار عامر إلى جنبها، وكان أبو لبابة بن عبد المنذر قد أعانهم فيه بخشب،وكان غير مغموصٍ عليه في النفاق، فلما هدم أخذ أبو لبابة خشبه ذلك فبنى به منزلاً[(٣)].

---

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٥٢٩، و«المغازي» ٣/ ١٠٤٥ ـ ١٠٤٦.
(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٧.
(٣) «السيرة» ٢/ ٥٣٠، و«المغازي» ٣/ ١٠٤٦ ـ ١٠٤٧.

والذين أسَّسوا مسجد الضِّرار كانوا خمسة عشر رجلاً[(١)]، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٧].

وقال الثعلبي: أمر رسولُ الله ﷺ أن يتخذ ذلك المسجد كناسة يلقى فيها الجِيفُ والنَّتنُ والقُمامةُ.

ومات أبو عامر بالشام وحيداً فريداً غريباً، وفيه يقول كعب بن مالك: [من الوافر]

معاذ الله من فعلٍ خبيثٍ ... كسَعيكَ في العَشيرةِ عبد عمروٍ
وقُلْتَ بأنَّ لي شَرفاً وذِكراً ... فَقِدْماً بِعْتَ إيماناً بكُفْرِ

وقال الثعلبي: سأل عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً منهم: بماذا أعَنْتَ في هذا المسجد؟ قال: بسارية، فقال عمر ﷺ: أبشر بها في عنقك في نار جهنم.

وروي: أن بني عمرو بن عوف الذي بَنَوا مسجدَ قُباء سألوا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه في خلافته ليأذن لمجمِّع بن جارية أن يَؤُمَّ بهم في مسجدهم فقال: لا ولانِعْمة، أليس بإمامِ المسجد الضِّرار؟ فقال له مجمِّع: لا يا أمير المؤمنين، فوالله لقد صلَّيْتُ وأنا لا أعلم ما أضْمَروا عليه ولو علمت ماصلَّيتُ فيه، كنت غُلاماً قارِئاً للقُرآنِ وكانوا شُيوخاً قد عَشَوْا لا يقرؤون من القرآن شيئاً، وكنت أظنهم يتقرَّبون إلى الله ولم أعلم بما في نفوسهم. فعذره عمر رضوان الله عليه وصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قُباء[(٢)].

وروي عن ابن عباس، أن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى مسجد قباء. وروي أنه مسجد رسول الله ﷺ.

وقدم رسولُ الله ﷺ المدينة يومَ الخميس عاشر رمضان، فبدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين وجلس، وكان قد تخلَّف عنه رَهْطٌ من المسلمين والمنافقين، فصفحَ عن المنافقين ولم يَعْذِرْ مَنْ تخلَّف من المسلمين إلا من كان عاجزاً، ومدح ذوي الأعذار من المسلمين.

---

(١) عدهم ابن إسحاق اثني عشر رجلاً، وسلف أنهم كذلك، انظر «السيرة» ٢/ ٥٣٠ .

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٤٧ .

قال أنس: قال رسولُ الله ﷺ لما رجع من غزاة تبوك ودنا من المدينة قال: «إنَّ بالمدينةِ أقواماً، ما سِرْتُم مَسيراً ولا قَطَعتُم وادياً إلا كانُوا مَعَكم فيه»، فقالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «وهُم بالمدينةِ، حَبَسهُم العُذْرُ». أخرجه البخاري(١).

قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا

لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من تبوك لم يُعْذِرْ مَنْ تخلَّفَ عنه من المسلمين من أهل القُدرة، منهم: كعب بن مالك الشاعر، ومُرارة بن الربيع العَمْري، وهلال بن أُميَّة، وهم من الأنْصار، تخلفوا من غير عُذرٍ مع صحَّةِ إسلامهم، وإنهم لم يُغْمَصوا بالنِّفاق، فوقف رسول الله ﷺ أمرهم، ونهى الناسَ عن كلامهم حتى نزلت تَوْبَتُهم في القرآن.

وقد أخرج حديثهم الإمام أحمد والبخاري ومسلم رحمة الله عليهم:

عن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائدَ كَعْبٍ من بَنِيهِ حين عَمِيَ قال: سمعتُ كعبَ بنَ مالكٍ يحدث حديثه حين تخلَّفَ عن رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب: لم أتخلَّفْ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها إلاّ في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بَدْرٍ ولم يعاتِبْ أحداً تخلف عنه، إنّما خرجَ رسولُ الله ﷺ والمسلمون يريدون عِيرَ قُريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غَيْرِ ميعادٍ، ولقد شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام وما أُحبُّ أن لي بها مشهد بَدرٍ، وإن كانت بدرٌ أَذكَرَ في الناس منها.

وكان من خبري حين تخلَّفْتُ عن رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفْتُ عنه في تِلْكَ الغزوةِ، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عَدوّاً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أَمْرَهُم ليتأهبوا أُهْبَةَ غزوِهم، فأَخْبَرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسولِ الله ﷺ كثيرٌ ولا يجمعهم كتابٌ حافِظٌ، فَقلَّ رجلٌ يريدُ أن يتغيَّب إلا ظَنّ أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله عز وجل، وغزا رسولُ الله ﷺ تلك الغزوةَ حين طابتِ الثمارُ والظلالُ، فتجهز

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٣).

رسولُ الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهزَ معهم فأرجع ولم أقضِ شيئاً وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمرّ بالناس الجِدُّ، فأصبح رسول الله ﷺ غادِياً والمسلمون معه، ولم أَقْضِ من جهازي شيئاً، ثم غَدَوْتُ فرجعتُ ولم أقضِ شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى حتى أسرعوا وتفارطَ الغَزْوُ، فهممت أن أَرْتَحِلَ فأُدْرِكَهم فيا ليتني فَعلتُ، ثم لم يُقَدَّرْ ذلك لي، فطفِقْتُ إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي ﷺ يُحْزِنُني أنَّني لا أرى لي أُسْوةً إلّا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممَّن عَذَرَ اللهُ من الضعفاء، ولم يذكُرْني رسولُ الله حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فَعَل كَعبُ بنُ مالكٍ؟» فقال رجلٌ من بني سَلمة: يا رسولَ الله، حبسه بُرْداه والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ، فقال له معاذُ بن جبل: بئس ما قلتَ، واللهِ يا رسولَ الله، ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسولُ الله ﷺ، فبينا هو على ذلك رأى رجلاً مُبيِّضاً يزولُ به السرابُ، فقال رسول الله ﷺ: «كُن أَبا خَيثَمةَ» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاعِ التمر حين لمزهُ المنافِقون.

قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافِلاً من تبوك، فطَفِقْتُ أتذكَّرُ الكَذِبَ وأقول: بِمَ أَخْرجُ من سَخَطه؟ وأستعين على ذلك بكلِّ ذي رأيٍ من أهلي، فلما قيل: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أظلَّ قادِماً زاح عني الباطلُ حتى عرفت أني لن أنجوَ منه بشيء أبداً، فأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وصبَّح رسولُ الله ﷺ وكان إذا قدِمَ من سفرٍ بدأ بالمسجد فركَعَ فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءَهُ المخلَّفون فطفِقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رَجلاً، فقبلَ منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكَلَ سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئتُ. فلما سَلَّمت تبسم تَبَسُّمَ المغْضَبِ، ثم قال: «تعالَ»، فجئت أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «ما خلَّفكَ؟ أَلَم تكُن قدِ ابْتَعتَ ظَهْرَكَ»؟ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سَخطِهِ بعُذْرٍ، لقد أُعطيتُ جَدَلاً، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثْتُك اليومَ حديثَ كَذِبٍ ترضى به عني ليوشِكَنَّ الله أن يُسخِطَك عَلَيَّ، ولئن حدثتك حديثَ صِدْقٍ تَجِدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله عز وجل، والله ما كان بي من عذر، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسرَ منى حينَ تخلَّفْتُ عنك. قال: فقال رسول الله ﷺ:

«أمّا هذا فَقد صَدَقَ، فَقُم حتى يقضيَ اللهُ فيك».

فقمتُ، وثارَ رجالٌ من بني سَلِمَةَ فاتَّبعوني فقالوا لي: والله ما علمناكَ أذْنَبْتَ ذَنْباً قبل هذا، لقد عَجَزْتَ في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذَرَ إليه المخلَّفُون، فقد كان كافيك ذَنْبَكَ استغفارُ رسولِ اللهﷺ، قال: والله ما زالوا يُؤَنِّبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول اللهﷺ فأكَذِّبَ نفسي. قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ماقيل لك، قال: قلت من هما؟ قالوا: مُرارةُ بن ربيعة العَمْريُّ، وهلال بن أمية الواقِفيُّ، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً لي فيهما أسوة، قال: فَمَضَيتُ حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رسولُ الله ﷺ المسلمين عن كلامِنا أيُّها الثلاثةُ مِنْ بَيْنِ من تخلَّفَ عنه. قال: فاجتَنبَنا الناسُ، أو قال: تَغيَّروا لنا حتى تنكَّرت إلى نفسي الأرضُ فماهي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأمّا صاحبايَ فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أَشَبَّ القوم وأَجْلَدَهُم، فكنت أخرجُ فأشهدُ الصَّلاةَ وأطوف في الأسواقِ ولا يكلِّمُني أحدٌ، وآتي رسولَ الله ﷺ فأسَلِّمُ عليه وهو في محله بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرَّكَ شَفتيه لردّ السلام أم لا؟ ثم أُصَلِّي قريباً منه وأُسارِقُه النَّظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نَظر إليَّ، وإذا التفتُّ نحوهُ أعرض عني.

حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفْوةِ المسلمين مشيتُ حتى تسوَّرْتُ جدار حائطِ أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبُّ الناس إليَّ، فسلَّمْتُ عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السلامَ، فقلت له: يا أبا قتادة، أَنْشُدُكَ بالله هل تعلمُ أني أُحِبُّ الله ورسوله؟ قال: فسكتَ، فعدتُ فأنشدته، فقال: اللهُ ورسولُه أعلمُ، ففاضت عينايَ وتولَّيْتُ حتى تسوَّرْتُ الجدارَ.

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نَبَطيٌّ من نَبَطِ أهل الشّام ممن قدم بالطعام يبيعُه بالمدينة يقول: من يدلُّ على كعب بن مالك؟ فطفِقَ الناسُ يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته، فإذا فيه: أما بعد، فإنّه قد بلغَنا أن صاحِبك قد جفاك، ولم يَجْعَلْكَ الله بدارِ هوان ولا مَضْيعةٍ، فالحَق بنا نُواسِكَ. قال: فقلتُ حين قرأتُها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيمَّمْتُ بها التَّنُورَ فسجرتها.

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحيُ إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: فقلت: أُطَلِّقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزِلْها فلا تقرَبْها، قال: وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك، قال: فقلتُ لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأةُ هلال بن أمية رسولَ الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، هلال بن أمية شيخ ضائعٌ ليس له خادمٌ، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربنَّكِ» فقالت: إنه والله ما به حركةٌ إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسولَ الله ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأةِ هلال ابن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنتُه فيها وأنا رجل شاب.

قال: فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلةً من حين نهى عن كلامنا، قال: ثم صَلَّيْتُ صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيتٍ من بيوتِنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت عَلَيَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبت، سمعتُ صوتَ صارخٍ أَوْفى على سَلْعٍ يقول بأعلى صوته: يا كعبَ بنَ مالكٍ، أبشر، قال: فخررتُ ساجداً وعرفتُ أنْ قد جاءَ الفَرجُ.

قال: وآذنَ رسولُ الله ﷺ الناسَ بتوبةِ الله علينا حين صلى صلاة الفَجر، فذهب الناسُ يبشروننا، فذهب قِبَلَ صاحبيَّ مُبَشِّرون، وركض إليَّ رجلٌ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلمَ قِبَلي، وأوفى على الجبل، فكانَ الصوتُ أسرع من الفَرسِ، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوتُهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعَرْتُ ثوبَيْنِ فلبستُهما، وانطلقتُ إلى رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فَوْجاً فَوْجاً يهنِّئونني بالتوبة، ويقولون: ليهنِكَ توبةُ الله عليكَ، حتى دخلتُ المسجدَ فإذا رسول الله ﷺ حوله الناس، فقام طلحةُ بنُ عُبيد الله يهرولُ حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعبٌ لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلَّمتُ على رسولِ الله ﷺ قال وهُوَ يَبْرُقُ وجهه من السرور: «أَبْشِر بخيرِ يومٍ مرَّ عليكَ منذُ ولَدَتكَ أمُّكَ» قال: فقلت: أَمِنْ عِنْدِكَ يا رسولَ الله، أم من عند

الله؟ قال: لا، بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُه حتّى كأنّ وجهه قطعةُ قَمَرٍ، قال: وكنا نَعرِف ذلك، قال: فلما سلمتُ بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسولِ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَمْسِكْ بعضَ مالكَ فهو خيرٌ لك»، قال: فقلت: فإني أُمْسِكُ سَهْمي الذي بخيبر، قال: فقلت: يا رسولَ الله، إن الله إنما أنجاني بالصِّدْقِ، وإنّ من توبتي ألاّ أحَدِّثَ إلا صدقاً ما بقيتُ، قال: فوالله ما علمتُ أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحْسَنَ مما أبلاني اللهُ، ووالله ما تعمَّدْتُ كَذبَةً منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: فأنزل الله عز وجل ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ حتى بلغ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩].

قال كعب: والله ما أنْعمَ الله عليَّ من نِعمةٍ قط بعد أن هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صِدقي رسولَ الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهْلِكَ كما هَلَك الذين كذبوا [فإن الله قال للذين كذبوا] حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحد، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥].

قال كعب: كنا خُلِّفْنا أيُّها الثلاثةُ عن أمر أولئك الذين قَبِل منهم رسولُ الله ﷺ حين حَلَفُوا له، فبايعهم واستغفرَ لهم وأرجأ رسولُ الله ﷺ أَمْرَنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفْنا تخلُّفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرَنا عمن حَلَف له واعتذر إليه فقبل منه(١).

وفي حديث إسحاق بن راشد: ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبيَّ، ولم يَنْهَ عن كلامِ أحدٍ من المتخلفين غيرنا، فاجتنَبَ الناسُ كلامَنا، فلبثتُ كذلك حتى طال

(١) أحمد في «مسنده» (١٥٧٨٩)، والبخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

عليَّ الأمر، وما من شيء أهم إليّ من أن أموتَ فلا يصلي علي النبي ﷺ، أو يموتَ رسولُ الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلةِ، فلا يُكَلِّمني أحد منهم ولا يسلِّم عليّ ولا يصلي عليَّ. قال: فأنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة رضي الله عنها، وكانت أم سلمة رضي الله عنها مُحْسِنَةً في شأني مَعْنِيَّةً بأمري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أمَّ سَلمة، تِيْبَ على كعبٍ» قالت: أفلا أرسل إليه فأُبشِّرُهُ؟ قال: «إذاً يَحْطِمَكُمُ الناسُ فيمنَعُونَكُم النَّوْمَ سائرَ اللَّيلِ»، حتى إذا صلّى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذنَ رسولُ الله ﷺ بتوبة الله علينا(١).

ونزل في غزاة تبوك جُمْلَةٌ من سورة براءة.

ولما رجع رسولُ الله ﷺ من تبوك قال له العباسُ بن عبد المطلب رضي الله عنه: يا رسول الله، إني أُريدُ أن أمدحكَ. فقال: «قل لا يَفضُضِ اللهُ فاكَ»، قال: فقال(٢): [من المنسرح]

مِنْ قبْلِها طِبْت في الظِّلال وفي ... مُستودَعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هبطت البلاد لا بَشَرٌ ... أنتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نطفةٌ تركبُ السَّفينَ وقد ... أَلْجَم نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ
وَرَدْتَ نارَ الخليلِ مُكتَتِماً ... فيها زماناً ولست تحترق(٣)
تَنَقَّلُ من صُلْبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضى عالَم بدا طَبَقٌ
حتى انتهى بيتكَ المهيمنُ من ... خِنْدفَ علياء تحتها النُّطُقُ
وأنت لما ولدت أشرقت الـ ... أرضُ وضاء من نورِكَ الأُفُقُ
فنحن في ذلك الضِّياء وفي النو ... رِ وسُبُلِ الرشادِ نَخْتَرِقُ

وفي هذه السنة تتابعت الوفود على رسول الله ﷺ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤١٦٧) من حديث خريم بن أوس، وانظر منال الطالب ٤٤٠ .

(٣) في سمط النجوم العوالي ١/ ١٦٤، وسبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٧٠:

وردتَ نارَ الخليل مكتتماً ... في صلبه أنت كيف يَحترقُ

obeikandi.com

وفد الطائف:

كان عمرو بن أمية أخو بني علاج مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو بن عمير، فجاء عمرو إلى باب عبدِ ياليل، فقيل له: عمرو واقف على بابك، فقال: هذا شيء ما كنت أَظُنُّه، وكان عمرو أَمْنَعَ في نفسه من ذلك، فخرج إليه ورحَّب به فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا أمرٌ ليس معه هِجرَةٌ؛ إنه قد كان من أمْرِ هذا الرجلِ ما رأيتَ، وقد أسلَمَتِ العربُ كلُّها، وليس لكم بحربهم طاقة فانظروا في أمركم، فعند ذلك ائتمرت ثقيف، وقال بعضهم لبعض: ألا تَرَوْنَ أنه لا يأمنُ لكم سِرْبٌ ولا يخرج منكم أحد إلا اقْتُطِعَ، فاتفقوا على أن يُرْسِلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً، فكلموا عبد ياليل فأبى أن يفعل، وخشي أن يفعلوا به إذا رجع كما فعلوا بعُرْوَةَ، وكانوا هم الذين أرسلوه إلى رسول الله ﷺ ثم قتلوه، وقال لهم عبدُ ياليل: لستُ فاعِلاً حتى تبعثوا معيَ رجالاً، فبعثوا معه خمسةً: رجلين من الأحلاف، وثلاثةً من بني مالك. من الأحلاف: الحكم بن وهب ابن مُعَتِّب، وشُرَحْبيلُ بنُ غَيْلان بن سلمة بن معتِّبٍ، ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونُمَيْرُ بن خَرَشَةَ، فخرج بهم عبد ياليل وهو نابُ القَوْمِ وصاحبُ أمرهم، فلما فصلوا قناةَ، لقوا بها المُغيرةَ بنَ شُعْبَة يرعى رِكابَ رسولِ الله ﷺ وكانت رعايتها نُوَباً على أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فلما رآهم ترك الرِّكابَ عندهم وضَبَرَ يشتَدُّ ليبشِّرَ رسولَ الله ﷺ بهم، فلقيه أبو بكرٍ رضي الله عنه فأخبره بقدومهم وأنهم قد جاؤوا يريدون الإسلام وأن يكتبَ لهم رسولُ الله ﷺ كِتاباً شرطوا فيه شروطاً على قومهم وبلادهم، فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أَقْسَمْتُ عليك بالله لا تَسْبِقني إلى رسولِ الله ﷺ حتى أكونَ أنا الذي أُبشره، ففعل، ودخل أبو بكرٍ رضي الله عنه فأخبر رسولَ الله ﷺ بقدومهم فسر، وقال لهم المغيرةُ: إذا دخلتُم على رسولِ الله ﷺ فحيُّوهُ بتحية الإسلام، فلما دخلوا عليه حيوه بتحية الشِّرْكِ، فضرب عليهم قُبَّةً في المسجد، وكان خالدُ بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ وما كانوا يأكلونَ الطعامَ يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل هو منه، حتى أسلموا وبايعوا، وكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً، وسألوه أن يَدَعَ لهم اللّاتَ ولايهدمها إلى ثلاث سنين، فأبى، فقالوا: سنة، فأبى، فسألوه فقالوا: شهراً بعد قدومهم فأبى عليهم، وسألوه أن يُعفِيَهم

من الصلاة وأن يكسروا أوثانَهم بأَيْديْهم: فقال: «أما الصلاةُ، فلا خَيرَ في دينٍ لا صلاةَ فيه» وأعفاهُم أن يكسر غيرُهم أوثانهم وأمّر عليهم عثمانَ بنَ أبي العاص الثقفي وكان من أحدثهم سِنّاً، وإنما كان حريصاً على الفقه وتعلُّم القرآن.

قال عثمان بن أبي العاص: آخرُ كلامٍ كلَّمني به رسولُ الله ﷺ إذِ استعملني على الطائف فقال: «خفِّفِ الصلاةَ على الناس» حتى وقَّتَ لي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ وأشباهَها من القرآن[١].

وفي «المسند»: «جوِّز في صلاتِكَ واقْدُرِ الناسَ بأَضْعفِهم، فإنَّ فيهمُ الصّغيرَ والكبيرَ وذا الحاجةِ»[٢]. وفي «المسند»: «واتَّخِذْ مؤذِّناً، فلا يَأخُذ على أذانه أجراً»[٣].

وكان قدومهم في رمضان، فلما أسلموا صاموا، وكان بلال رضي الله عنه يأتيهم بفطرهم فيقولون: يا بلال، ما نرى الشمس توارت بَعْدُ، لما يرون من السَّدَفِ، فيضعُ بلالٌ يدهُ فيه ويأكل منه، ويقول: ماجئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ويأتيهم بسحورهم وقد تخوَّفوا الفجرَ وأمسكوا ويقولون: يا بلالُ، قد أصبحتَ، فيقول: نزلتُ ورسول الله ﷺ يتسحَّرُ. ولما توجّهوا إلى الطائف بعث معهم رسولُ الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمُغيْرة بن شُعبة لهدم اللّاتِ، فلما قدما الطائف قال المغيرة لأبي سفيان: تقدَّمْ، فقال: أنت أولى بالدخول على قومك، وأقام أبو سفيان في ماله بذي الهَدْمِ، فلما دخلَ المغيرةُ على اللّاتِ علاها بمِعْوَلٍ يضربُها، وقامَ دونه بنو معتِّب بالسلاح خشيةَ أن يُصابَ كما أُصيب عروةُ بن مسعود، وخرج نساءُ ثقيف حُسَّراً يبكين عليها، ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهاً لكِ، آهاً لكِ، ثم بعث إلى أبي سفيان بمالها وحُلِيِّها[٤].

وكان أبو مُلَيْحِ بنُ عُرْوَةَ وقاربُ بنُ الأسود لما قُتِلَ عروةُ قدما على رسول الله ﷺ وأسلما، وقال لهما: «تولَّيا خالكما أبا سفيان بن حرب» فقال أبو مليح: يا رسول الله،

---

(١) «السيرة» ٢/ ٥٣٨ ـ ٥٤٠، و«المغازي» ٣/ ٩٦٢ ـ ٩٦٨.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٩١٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٢٧٠).

(٤) «السيرة» ٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤٢.

اقض دينَ أبي من مال الطَّاغية؟ قال: نعم، وقال له قارب بن الأسود: يارسول الله، وعن الأسود فاقضه، فإن عروة والأسود كانا أَخَوَيْنِ لأبٍ وأمٍّ، فقال رسول الله: فإن الأسود مات وهو مشرك، فقال قارب: يا رسول الله إنما الدَّيْنُ علي وأنا الذي أُطالَبُ به، فإذا فَعَلْتَ وَصَلْتَ مُسْلِماً.

وكتب النبي ﷺ إلى أبي سفيان أنِ اقض دَيْنَ عروة والأسود من مال الطاغية، ففعل[1].

وكانت سَدَنَةُ الطاغية من ثقيف بنو العجلان.

قال هشام: كان سبب إسلام ثقيف أن مالكَ بن عوف النَّصْريَّ لما قدِمَ على رسول الله ﷺ بالجِعرّانةِ وردَّ عليه ماله وأهلَه أسلم وحَسُنَ إسلامُه، واستعمله على القبائل، فقال له: يا رسول الله، أنا أكفيك ثقيفاً، فأزعجهم بالغارات والنَّهْبِ، فلما رأت ذلك ثقيفُ مشوا إلى عبدِ ياليل وسألوه أن يقدم على رسول الله ﷺ، فقدم هو وابناه في سبعين رجلاً وهم رؤساؤهم.

* * *

وفيها: في رمضان قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير وهَمْدان باليمن بإسلامهما، وبعث إليه زرعة بن ذي يزن[2] مالك بن مرة الرهاوي، فَسُرَّ بهم رسولُ الله ﷺ، فكتب إليهم بعد البسملة: «من محمدٍ رسولِ الله إلى ملوكِ هَمدانَ والمعافِرِ وحمير ـ وسماهم ـ أما بعد: فإني أَحْمَدُ إليكُم الله الذي لا إلَه إلا هو، والحمدُ للهِ الذي هَداكُم للإسلام، وإنا لَقينا رسُولكم ونحن قافلون من أرض الروم فبلَّغَنا رسالتكم، فأقيمُوا الصلاة وآتوا الزكاة وأدوا خُمْسَ أموالكم إلى الله ورسوله،وما يجب عليكم من الصدقات،وعليكم عُشْرُ ما سقت العيون والسماء... وذكر أسنان الإبل والبقر والغنم وما يجب فيها». وفيه: «وعلى كل حالم وحالمة من اليهود والنَّصارى دينار أو قيمتُه من المعافِر».

---

(١) «السيرة» ٢/ ٥٤٢.

(٢) في «السيرة» ٢/ ٥٨٨: زرعة ذو يزن، وانظر «الطبقات» ١/ ٣٠٦.

وقوله: وحالمةٍ: سهو من الكاتب أو الراوي، لأن المرأة لا جزية عليها بالإجماع.

والمعافر: ضَرْبٌ من ثيابِ اليَمَنِ.

* * *

وفيها: قدمَ وفدُ فزارةَ، وكانوا سبعة عشر رجلاً ومنهم الحرُّ(١) بن حصن، وكان أصغرهم سناً، فلقوه عند رجوعه من تبوك وهم على رحالٍ عِجاف، فسألهم رسولُ الله ﷺ فقالوا: أَسْنَتَتْ(٢) بلادُنا وهلكتْ مواشينا، وسألوه الدعاءَ لبلادهم بالحيا، فخطب ودعا لهم، فقال: «اللهمَّ اسق بلادك عاجلاً نافعاً، سقيا رحمةٍ لا سقْيا عذاب، اللهمَّ حوالينا ولا علينا». فعادوا إلى بلادهم وقد سقوا(٣).

وفيها: قدم وفد هَمْدان(٤)، وفيهم ذو المشعار مالك بن نَمَط فقام فقال: يا رسول الله أتَتْكَ نَصِيَّةٌ من همدان من كل حاضر وبادٍ، أتوك على قُلُص نواجٍ مُتَّصِلَةٍ بحبائلِ الإسلام، لا تأخُذُهم في الله لومةُ لائم، من مِخْلافِ خارِف، وعهدهم لا يُنْقَضُ عن سنة ما قام لَعْلَعُ(٥) وجرى اليَعْفُور بصلع، فكتب لهم رسول الله ﷺ:

هذا كتابٌ من محمد رسول الله لِمخلاف خارف وأهل جِناب الهَضْب وحِقافِ الرَّمْل، لوافدها ذي المِشْعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه، على أن لهم فِراعَها ووِهاطها وعَرارَها ماأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون عُلَّافَها ويرعون حِقافها، وليأمن ذِمِّيهم وضامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقةِ: الثلب والنابُ والفَصيلُ والداجن والكبش الحواريُّ وعليهم فيه الضَّالع والقارِحُ.

تفسيره: «النصية» من الإبل والقوم والمال: خياره، و«القَلوص» من النوق: بمنزلة الجارية من النِّساء، و«النواج»: النّاجيةُ بصاحبها. والمخلافُ: لأهل اليمن واحدُ المخاليف، وهو كورها، ولكل مخلاف اسم يعرف به، و«اليعفور»: اسم واد،

---

(١) في النسخ: «الحارث» وانظر «الإصابة» ١/ ٣٢٤.

(٢) أسنتت: أجدبت من قلة المطر.

(٣) «الطبقات» ١/ ٢٥٧، و«المنتظم» ٣/ ٣٥٣.

(٤) السيرة ٢/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨.

(٥) لعلع: اسم جبل.

و«صلع»: موضع لا يُنْبِتُ، و«الفِراع»: أعالي الجبال، و«الوَهْطة»: ما اطمأن من الأرض، و«العَرار»: نَبْتٌ طيِّبُ الريح، و«العُلَّف»: بتشديد اللام، ثمرُ الطَّلْحِ، و«الحِقافُ»: الرّمال، و«الثِّلْبُ»: الجمل الذي انكسرت أنيابه من الهَرَمِ وتناثر ذَنَبه، و«النَّاب»: المسِنَّةُ من النوق، و«الفارض»: البقرة الكبيرة، و«الداجن»: الشاة تألف البيوت، و«الضِّلَعُ»: الغَمْزُ في مَشْيِ البعير، و«القارح»: ما أتت عليه خمس سنين.

وفيها: وَفَد على رسول الله ﷺ وَفْدُ الداريين.

قال زياد بن أبي هند الداري، عن أبيه(١): قدِمْنا على رسول الله ﷺ مكة ونحن ستة أنفس: تميم الداري وأخوه نُعَيْم بن أوس، والفاكه بن النعمان، وزيد بن قيس، وأبو هند بن عبد الرحمن، وأخوه الطيب بن عبد الله، فَسَمَّاهُ رسولُ الله ﷺ [عبد الرحمن](٢) فأسلمنا وسألناه أن يعطينا أرضاً من أرض الشام، فأعطانا، وكتب لنا في جِلدٍ أديم كتاباً فيه شهادة العباس وخُرَيْم بنِ قيس وشُرَحْبيل بن حسنة(٣).

قال أبو هند ـ فهو صاحب الحديث ـ: فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجرنا إليه، وسألناه أن يجدد لنا كتاباً.

وفي رواية: فقالوا: ما شئتم؟ فقال تميم: أرى أن أسأله بيت المقدس وكُورَها، فقال أبو هند: أخاف أن لا يتمَّ لنا ذلك لأنه يكون بها ملك العرب، فقال تميم: فنسألُه بيت جبرين، فقال أبو هند: فهذا أكبر، اطلبوا منه عين، وجبرون، وبيت إبراهيم، وطلبناه فكتب لنا، ثم قال: «إذا سمعتم أني قد هاجرت فاقدموا عليّ»، فلما هاجر قدموا عليه فجدد لهم الكتاب.

وقال الكلبي: قدم وفد الداريين على رسول الله ﷺ عند منصرفه من تبوك وكانوا عشرة، فمنهم: تميم ونُعَيْم ابنا أوس بن خارجة، [ويزيد بن قيس بن خارجة(٤)]

(١) في النسخ: «زياد بن هند». والمثبت من الطبراني، و«الإصابة» ٢/ ٢٣٦.
(٢) ما بين معقوفين زيادة من المصادر.
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٤٨)، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٨٠٦). وجاء عندهم أن رسول الله ﷺ سمّى الطيب: عبد الرحمن. وعند الواقدي ٢/ ٦٩٥، وابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٩٦ أنه ﷺ سمى الطيب عبد الله.
(٤) ما بين حاصرتين ليس في النسخ وهو من الطبقات ١/ ٢٩٦.

والفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفَّارة، وعزيز ومرة ابنا مالك[١]، و الطيبُ وأبو هند ابنا ذر، وجبلة بن مالك بن صفّارة، وهانئ بن حبيب بن هانئ، وخارجة بن أسود[٢]، وقيل: وأسود بن جبير اللخمي، فأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله ﷺ راوية خَمْر وأفراساً وقَباءً مُخَوَّصاً بالذهب - أي مَنْسوجاً - فقبِلَ القباءَ والأفراس وردَّ الخمر، وقال: «إن الله حرم شُرْبها وبَيْعَها» فانْطَلَقَ فأَهْرقها في بقيع الجُحْفَةِ، وأعطى رسول الله ﷺ القباء للعباس رضي الله عنه فباعه من يهودي بثمانية آلاف درهم. وسمى رسول الله ﷺ عزيزاً: عبدَ الرحمن، والطَّيِّبَ: عبدَ الله، فقال له تميم: يا رسول الله إن لنا جيرةً من الروم ولهم قريتان يقال لإحداهما: حِبْرى، والأخرى: بيت عينون، فإن فتح الله عليك بالشام فهبهما لي، فقال: «هما لك»[٣].

وقال الواقدي: وكتب رسول الله ﷺ لنُعيم بن أوس وأخيه تميم بن أوس: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطى محمد رسول الله نعيم بن أوس وأخاه تميماً الداريَّيْنِ حِبْرى وبيت عَيْنُونَ بالشام، سَهْلها وجَبَلها وماءَها وأَنْباطها وبقرها، ولعقبهِ من بعده، لا يحاقهما فيها أحد ولا يلج عليهم فيها بظلم، فمن ظلمهم وأخذ منهم شيئاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وكتب علي بن أبي طالب[٤].

وقال الهيثم: نسخة الكتاب: هذا ما أنطى محمدٌ رسولُ الله لتميم الداري وأصحابه، أنْطاهم عين، وحَبْرون، والمرْطومَ بيت إبراهيم بذمتهم، وجميع ما فيها، نَطية بَتَّةً، وهي لأَعْقابهم من بعدهم أبد الآبدين، فمن آذاهم فيه آذاه الله. وشهد أبو بكر ابن أبي قحافة رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية ابن أبي سفيان وكتب، وأقاموا عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى توفي، وقام أبو بكر رضوان الله عليه فأعطاهم ذلك، وأوصى لهم رسول الله ﷺ بمئة وَسْقٍ من تَمْر خيبر.

---

(١) في النسخ: «وعزيز بن مرة بن مالك»، والمثبت من طبقات ابن سعد ١/ ٢٩٦.

(٢) لم نقف على من اسمه خارجة بن أسود، ولا أسود بن جبير ضمن وفد الداريين في شيء من المصادر، ولا من ذكرهم في الصحابة، وذكر ابن سعد والواقدي بدله: يزيد بن قيس بن خارجة.

(٣) «الطبقات» ١/ ٢٩٦.

(٤) انظر «الطبقات» ٦/ ٢٥٥.

وكتب أبو بكر رضوان الله عليه إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أما بعد، فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفَسَاد في قُرى الداريين، وإن كان أهلها قد أجلوا عنها وأراد الداريون أن يزرعوها فلهم ذلك، وإن أراد أهلها الرجوع إليها فهي لهم وهم بها أحق(١).

و«المرطوم»: هو بيت إبراهيم عليه السلام وهو موضع قبره، و«حِبْرى» قرية إلى جانب المَرْطوم.

ترجمة تميم الداري

وكنيته: أبو رُقَيَّةَ، ولم يكن له ولدٌ ذكَرٌ، إنما كانت له هذه البنتُ فكُنِّيَ بها. قاله يعقوب بن سفيان.

وقال ابن عبد البَرِّ: لم يُولَدْ له ولدٌ غَيْر رُقَيَّة، وكان نَصْرانيّاً فأسلم سنة تسع من الهجرة(٢).

وتميم من الطبقة الرابعة من الصحابة، نزل المدينة، وتحوّل إلى الشّام بعد قتل عثمان رضي الله عنه، وكان يقرأُ القرآن في ركعة، وربما ردّدَ الآية الواحدةَ إلى الصباح، وكان يشتري الرداء بألف درهم فيصلي فيه بالليل.

وفي تميم نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ الآية [المائدة، ١٠٦].

وقال الحميدي عن ابن عباس: خرج رجل من بني سَهْمٍ مع تميم الداري وعدي بن بَدَّاء، فمات السهمي بأرضٍ ليس بها مسلمٌ، فلما قدموا بتَرِكَتِه فقدوا جاماً من فضةٍ مُخَوَّصاً بالذَّهَبِ، فأحلَفَهُما رسولُ الله ﷺ ثم وُجدَ الجامُ بمكَّةَ، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي بن بَدَّاء، فقام رجلانِ من أوليائه فحلفا لشهادتُنا أحقُّ من شهادَتهما وأن الجام لصاحبهم، فنزلت الآية، الكلام على الحديث(٣).

وقال تميم: خرجتُ من الشام إلى الحجاز حين بُعث رسول الله ﷺ فأدركني الليل

(١) «تاريخ دمشق» ١١/ ٦٦ .

(٢) «الاستيعاب» ١/ ١٨٤ .

(٣) كذا وردت هذه العبارة هنا، وهي دليل على كلام مختصر، والحديث أخرجه البخاري (٢٧٨٠)، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (١١٢٩) .

في وادٍ فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة، فناداني منادٍ: عُذْ بالله، فإن الجن لا تجترئ على الله؛ قد خرج الرسولُ الأمين، وصلينا خلفه بالحَجونِ وأسلمنا واتَّبعناه، وذهب كيد الجن ورميت الشياطين بالشهب، فانْطَلِقْ إلى محمد ﷺ، فلما أصبحتُ أتيتُ دَيْرَ أيوب وفيه راهبٌ فأخبرته، فقال: صدقَ، نجدُهُ يخرج من الحرم، وهو خير الأنبياء فلا تُسْبَقْ إليه. فقدمت على رسول الله ﷺ المدينةَ فأسلمت(١).

وهو أول من قصَّ في أيام عمر رضوان الله عليه، فقال له: ما تقولُ؟ قال: أقْرأ عليهم القرآن وآمرهم بالخَيْرِ وأنهاهم عن الشر، قال: افعل، فكان يقصُّ يوماً واحداً في الجمعة، فلما قام عثمان رضوان الله عليه استزاده يوماً آخر(٢).

ومرّ به عمر رضوان الله عليه وهو يقص ومعه ابن عباس، فقال له: سَلْه عن زلَّةِ العالِم، فقال تميم: لأن العالِمَ إذا زلَّ زلَّ الناسُ فيؤاخَذ بهم(٣)، فقال عمر رضي الله عنه: أحسنت.

وقال أبو سعيد الخدري: أول من أسرج المسجدَ تميمٌ الداري(٤).

وسكن تميمٌ دمشقَ، ثم انتقل إلى فلسطين، فتوفي بها سنة أربعين، قاله الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى، وقبره ببيت حبرون.

وروى الحديث عن النبي ﷺ، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس وأنس وأبو هريرة وغيرهم، وقدم مصر لغزو البحر فروى عنه جماعة من المصريين، وأخرج له الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند» ثمانية أحاديث.

وقد روى رسول الله ﷺ حديث الجسَّاسةِ عن تميم الداري: كانت فاطمة بنت قيس من المهاجرات الأُوَلِ، وسألها الشَّعْبيُّ - واسمه عامرُ بن شَراحيل من شَعْب هَمْدان - فقال: حدثيني حديثاً سَمِعتيه من رسولِ الله ﷺ لا تُسْنديه إلى أحدٍ غيره، فقالت: لئن

(١) «الطبقات» ٦/ ٢٥٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٤٠٠) من حديث الزهري، وأحمد في «مسنده» مختصراً (١٥٧١٥) من حديث السائب بن يزيد.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٤٩)، والخطيب في «الجامع لآداب الراوي» (٣٨٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٧٦٠).

شئتَ لأفعلَنْ، فقال لها: أَجَلْ، حدِّثيني، قالت: نكحتُ ابنَ المغيرة وهو من خَيْرِ شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسولِ الله ﷺ فلما تَأَيَّمْتُ خطبني عبد الرحمن بنُ عوفٍ في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ [وخطبني رسول الله ﷺ] على مولاه أسامةَ بن زيد، فلما كلَّمني رسولُ الله ﷺ قلتُ: أمري في يَدِك فأنْكِحني من شئتَ، فقال: «انتَقِلي إلى أمِّ شَريك» وأُمُّ شريك امرأة غنيَّةٌ من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيلِ الله، ينزل عليها الضِّيفانُ، فقلت: سأفعل، فقال: «لا تَفْعلي، إنَّ أُمَّ شَريكٍ كثيرةُ الضِّيفانِ، وأَكْرهُ أن يَسقُطَ خِمارُكِ وَينكَشِفَ الثَّوبُ عن ساقَيْكِ، فيرى القَوْمُ منك بعضَ ما تكرهينَ، ولكِن انْتَقِلي إلى ابنِ عمِّكِ، ابنِ أُمِّ مكْتُوم». فانتقلتُ إليه، فلما انقضَتْ عِدَّتي سمعنا نداءَ منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاةَ جامعةً، فخرجت مع النساء إلى المسجد، فصَلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ، فكنت من النِّساء اللاتي بين ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «ما جَمَعتُكُم لرَغبَةٍ ولا لِرَهْبةٍ، ولكِنْ جمَعتكُم لأنَّ تميماً الداريّ حدَّثني حديثاً وافَقَ ما كُنتُ حَدَّثتُكُم عن المسيحِ الدجَّالِ، حدَّثني أنه رَكِبَ في سفينةٍ بحريةٍ مع ثلاثينَ رجلاً من لَخْم وجُذام، فلعب بهم الموجُ شهراً في البحر، ثم أَرْفؤوا إلى جزيرةٍ في البحرِ حينَ تغرُبُ الشمسُ، فجلسوا في قاربٍ ودخلوا الجزيرةَ، فَلَقِيتهم دابَّةٌ أَهْلَبُ كثيرُ الشَّعَرِ، لا يَدرون ما قُبُلُه من دُبُرِه، فقالوا: ويلكِ ما أنتِ؟ قالت: أنا الجسَّاسةُ، قالوا: وما الجسَّاسةُ؟ قالت: أيُّها القومُ، انْطَلقوا إلى هذا الرجلِ الذي في الدَّير فإنّه إلى لقائكُم بالأشواقِ، قال: فلما سَمَّت لنا رجلاً فرِقْنا منها أنْ تكُونَ شَيطانةً ـ أو شيطاناً ـ فانْطَلقنا سِراعاً حتى دَخلنا الدَّيرَ فإذا فيه أعظمُ إنسانٍ رأيناهُ قطُّ خَلْقاً، وأشدُّهُ وثاقةً، مجموعةٌ يداه إلى عُنقه، ما بين رُكبتيه إلى كَعبهِ بالحديدِ، قلنا: ويلَكَ ما أنتَ؟ قال: قد قَدَرتُم على خَبَري، فأَخبرُوني ما أَنتُم؟ قالوا: نحن أُناسٌ من العَرَب ركبنا في سفينةٍ بحريةٍ فصادَفْنا البحر حين اغْتلَمَ، فلعب بنا الموجُ شهراً ثم أَرْفأنا إلى جزيرتكَ هذه، فجلَسنا في أَقْرُبها فدخَلْنا الجزيرةَ فلقينا دابةٌ أَهْلبُ كثيرُ الشَّعَرِ.. وذكر القصة إلى قوله: فإنّه إلى خَبركم بالأشواق فأقبلنا إليكَ سراعاً وفزعنا منها، ولم نأمَنْ أن تكونَ شيطانةً، فقال: أَخبروني عن نخل بَيْسانَ؟ قلنا: عن أيِّ شيء تَسْتَخبر؟ قال: أسألكم

عن نخلها هل يثمر؟ قلنا: نعم، قال: يوشك أن لا يُثْمِرَ، قال: أخبروني عن بحيرة طبريّةَ؟ قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبرُ؟ قال: أسألكم هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: إنّ ماءَها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زُغَر؟ قلنا: عن أيّ شأنها تَسْتخبرُ؟ قال: هل فيها ماء وهل يَزرَعُ أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرةُ الماءِ وأَهلُها يزرعُون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأُمِّيينَ ما فَعَلَ؟ قلنا: قد خرج من مكّةَ ونزل يَثْربَ، قال: قَاتَلتْهُ العَربُ؟ قُلنا: نَعَم، قال: كيفَ صَنَع بهم؟ فأَخبرناهُ أنه قد ظَهَر على من يَليهِ منَ العَرَبِ وأَطاعُوهُ، فقالَ: قد كانَ ذلك؟ قلنا: نَعَم، قال: أما إنَّ ذلك خير لهم أن يُطيعوهُ، وإنّي مُخبِرُكم عني، أنا المسيحُ، وإنّي أُوْشِكُ أن يؤذنَ لي في الخُروج فأخرجَ، فأَسيرُ في الأرضِ فلا أَدَعُ قريةً إلا هَبطْتُها في الأربعينَ ليلةً غيرَ مكّةَ وطَيبةَ، هما مُحَرَّمتانِ عليَّ كِلتاهُما، كلَّما أَردتُ أن أَدخُلَ واحدةً مِنها استَقبَلني مَلَكٌ بيدِهِ السيفُ صَلْتَاً يصدُّني عنها، وإنَّ على كل نَقْب منها ملائكةً يحرُسُونها، قال رسول الله ﷺ وطَعَن بمِخْصَرَتهِ في المِنْبَرِ: «هذه طيبةُ» يعني المدينة. قال: فإنّه أعجَبني حديثُ تميمٍ أنّه وافقَ الذي كنتُ أُحدِّثكم عنه وعن مكّةَ والمدينةَ، إلا أنّه من بَحْرِ الشام أو بحرِ اليمن لا من قِبَلِ المشرق ما هو من قبل المشرق» يكرره وأومأ بيده إلى المشرق.

قالت: فحفظتُ هذا من قول رسول الله ﷺ، وهذا حديث طويل أخرجه الحميدي[١] من أفراد مسلم.

* * *

وفيها: كتب رسول الله ﷺ إلى سمعان بن عمرو الكلابي كتاباً يدعوه إلى الإسلام، فرقَعَ به دَلْوَه، فقالت له ابنته: عَمَدْتَ إلى كتاب سيدِ العرب فرقعتَ به دلوك ستصيبك قارِعةٌ، فمرت به سريةُ رسولِ الله ﷺ فاستباحوا كل شيء كان له، فهرب، ثم قدم على رسول الله ﷺ مسلماً، فرد عليه من ماله ما لم يُقسَم[٢].

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) والحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (٣٥٣٦).

(٢) «الطبقات» ١/ ٢٤٢.

وفيها: وَفَدَ وَفْدُ بني البَكَّاء، وهم: معاوية بن ثَوْر بن عُبادة وهو يومئذ ابن مئة سنة، ومعه ابنه بِشر، والفُجَيْعُ بن جُنْدَع[١]، وعبد عمرو، فأكرمهم رسولُ الله ﷺ وأجازهم، فقال له معاوية بن ثور: يا رسول الله، إني قد كَبِرت فامسح على وجه ابني بِشر، فمسح عليه ووهبه أَعْنُزاً عُفْراً ـ أي بيضاء ـ فكانت السَّنَةُ تُصيب بني البَكَّاءِ ولا تصيبهم، وفي ذلك يقول محمد بن بِشْر بن معاوية: [من الكامل]

وأبي الذي مَسَحَ الرَّسُولُ بوجهِهِ ودعا له بالخَيْرِ والبَرَكاتِ
أعطاه أحمدُ إذ أتاهُ أَعْنُزاً عُفْراً ثَواجِلَ لَسْنَ باللَّجِباتِ
يملأْنَ رِفْدَ الحَيِّ كلَّ عَشِيَّةٍ ويعودُ ذاك المَلْءُ بالغَدَواتِ
بُورِكْنَ مِن مِنَحٍ وبُورِكَ مانِحاً وعليه مِنِّي ما حَيِيتُ صَلاتي

وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عند الفُجيع وقومه[٢].

وفيها: قدم وفد بني عُقيل بن كعب، وفيهم ربيع بن معاوية بن خفاجةَ بن عمرو بن عقيل، وعقال بن خويلد وغيرهما، وأخذ عليهم رسول الله ﷺ الإسلام، وقال لعقال ابن خويلد: قُلْ أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن هُبَيْرة بنَ النُّفاضة نِعْمَ الفارسُ يوم قرني لبان[٣] ـ اسم موضع ـ فقال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن الصريح تَحْت الرِّغْوة، فقال ثلاثاً له، فأَسْلَم، فكتب لهم رسول الله ﷺ العقيق، ويُسمى: عقيق بني عُقيل، وفيه عيون ونخل، وكتب لهم في أديم أحمرَ[٤].

* * *

وفي هذه السنة جرت قصة ثعلبة بن حاطب أحد المنافقين.

قال أبو أمامة الباهلي: جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أُدْعُ الله أن يرزقَني مالاً، فقال: «وَيْحَكَ يا ثَعْلَبَةُ، أَمالَك في رسولِ الله أُسوةٌ حَسَنَةٌ، والذي نَفسي بيدهِ، لو أَردْتُ أَن تسيرَ الجبالُ معيَ ذَهَباً وفضةً لَسَارت». ثم

(١) في طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٣: والفجيع بن عبد الله بن جندح.

(٢) «الطبقات» ١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣، والثواجل: العِظام البطون.

(٣) في النسخ: «موليان» والمثبت من «الطبقات».

(٤) «الطبقات» ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

أتاه ثانياً وثالثاً، فقال: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يرزقني مالاً، فوالذي بعثك بالحقِّ لئن رزقني الله مالاً لأؤدِّيَنَّ إلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهم ارزُقْ ثعلبةَ مالاً» قالها مرتين، فاتَّخذ غَنَماً فنمت كما يَنْمو الدودُ، وضاقت عليه المدينةُ فتنحى عَنْها، ونزل وادياً من أوديتها وهي تزداد، وكان يصلِّي مع رسول الله ﷺ الظُّهرَ والعَصْرَ و يصلي في غنمه باقي الصلوات، ثم كثرت فتباعد عن المدينة وانقطع عن الصلوات والجُمَعِ، فسأل رسول الله ﷺ عنه ذات يوم فقال: «ما فَعَل ثَعلبةُ»؟ فقالوا: يا رسول الله، كثُرَ ماله فأبْعَد عن المدينة، فقال: «يا وَيحَ ثعلبةَ»، وأنزل الله آية الصدقات، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سُلَيم وآخر من جُهينةَ على الصدقات وقال لهما: «مرَّا بثعلبةَ وببني سُلَيم»، فمرَّا بثعلبةَ فقرآ عليه أسنان الصدقة، فقال: ما هذه إلّا جزية، انطلِقا حتى تفرُغا ثم عودوا إليَّ، فذهبا إلى بني سُليم فاستقبلهما رجل من بني سُليم بصدقته وقد عزل لهما خِيارَ ماله، فقالا: ما هذا عليك، فقال: خُذَاها طيِّبةً من نفسي. وعادا إلى ثعلبةَ فلم يعطهما شيئاً، وقال: حتى أرى رأيي. وأقبلا لمّا رآهما رسول الله ﷺ فقال قبل أن يتكلما: «يا وَيحَ ثعلبةَ» مرتين، فأخبراه بقول ثعلبة وفِعلِ السُّلمي، فأنزل الله في ثعلبة: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٥] الآيات وعند النبي ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فخرج حتى أتاه فقال: ويحكَ يا ثعلبُ، قد أنزل الله فيكَ كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل صدقته، فقال: «إنّ الله مَنَعني أن أقبَلَ صدقَتَكَ» فحثى الترابَ على رأسه وجعل يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «هذا فِعْلُكَ بنَفْسكَ، قد أَمَرتُكَ فلم تُطِعْني». وتوفي رسولُ الله ﷺ ولم يقبلْ منه شيئاً، ولما وَلِيَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أتاه فعرض عليه أَخْذَ الصَّدقةِ فقال: لم يأخُذْها مِنْكَ رسولُ الله ﷺ أفآخذها منك أنا؟ ثم مات أبو بكر رضي الله عنه، وقام عمر رضي الله عنه فجاءه يعرِضُها عليه، فقال له كذلك، ثم قام عثمان رضي الله عنه فجاءه فعرضها عليه، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ و لا أبو بكر ولا عمر، أفأقْبَلُها أنا؟ ولم يأخذ منه شيئاً، فمات في أيام عثمان رضي الله عنه[1].

* * *

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٨٧٣)، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٨٩، وفي «الشعب» (٤٣٥٧) وقال: وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف.

وفيها: بعث رسول الله ﷺ أبان بن سعيد بن العاص بن أمية على الصدقات إلى البحرين، وأبان من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وأمه: هند بنت المغيرة المخزومي، وأبوه كنيته: أبو أُحَيْحَةَ، مات كافراً بالطائف، وكان له أولاد: أبان، وعمرو، وخالد، وعبيدة، والعاص، أما خالد وعمرو فأسلما قديماً وهاجرا إلى الحبشة، وأما العاص وأبان وعبيدة فخرجوا إلى بدر مع الكفار، فقتلَ عليٌّ العاص كافراً، وقتلَ الزبير رضي الله عنه عبيدة كافراً، وأفلتَ أبانُ صاحبُ هذه الترجمة، فكاتبه أخواه خالدٌ وعمرو من الحبشة: أَسْلِم، فقال: لا أَدَعُ دينَ آبائي، وأقام بمكة على كفره، حتى كان زَمَنُ الحُدَيْبية، ودخل عثمان رضي الله عنه إلى مكة رسولاً من عند رسول الله ﷺ فأجاره، ثم قدم خالد وعمرو من الحبشة سنة سبع مع أصحاب السفينتين وكتبا من الشُّعَيْبَةِ إلى أبان وهو بمكّة: اقدُم علينا، فقدِم عليهم ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم وحسن إسلامه، وولّاه رسول الله ﷺ صدقات البحرين سنة تسع فسار إليها، وأقام بها حتى ارتدتِ العربُ بعد وفاةِ رسول الله ﷺ وكان قد جمع مئة ألف، فقدم بها على أبي بكر رضي الله عنه فسُرَّ به، وكان معه ثلاثُ مئة من عبد القَيْسِ، فأكرمهم أبو بكر رضي الله عنه، وقال له: ارجع إلى عملك، فقال: والله لا عملتُ لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ فلم يُكْرِهه أبو بكر رضي الله عنه[1].

* * *

وفيها[2]: رجم رسول الله ـ ﷺ ـ ماعزاً والغامدية.

[وقد روى القصة جماعة من الصحابة منهم بريدة بن الحصيب، وجابر بن سمرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وعمران بن الحصين وغيرهم.

فأما حديث بريدة فقال [أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن المهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال][3]: كنت جالساً عند رسول الله ـ ﷺ ـ إذ جاءه رجل

(١) «الطبقات» ٥/٨ ـ ١٢.

(٢) من هنا تبدأ نسخة كوبريللي والمرموز لها بـ (ك) وما فيها من زيادات على النسختين (خ ، أ) يوضع بين معكوفين.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من (ك).

يقال له: ماعز بن مالك، فقال: يا رسول الله، إني قد زنيت، وأريد أن تطهرني، فقال له رسول الله ﷺ: «ارْجِع»، فلما كان من الغد أتاه، فاعترف عنده بالزنا، فقال له رسول الله ﷺ: «ارْجِع»، ثم أرسل إلى قومه، فقال: «ما تَعرِفُون من ماعِزِ بن مالكٍ الأَسْلَمي، هَل تَرونَ به بأساً، أو تُنْكِرون من عَقلِه شيئاً»؟ فقالوا: لا، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ الثالثة والرابعة، فأرسل إلى قومه، فقالوا: ما نعلمه إلا وفيَّ العقل من صالحينا، فأمر رسول الله ﷺ فحفر له حفرة إلى صدره، ثم أمر الناس أن يرجموه.

قال بريدة: كنا نتحدث ـ أصحاب النبي ﷺ ـ أن ماعزاً لو جلس في رحله بعد اعترافه ثلاث مرات لم يطلبه، وإنما رجمه عند الرابعة[(١)].

وقال أحمد رحمة الله عليه: حدثنا وكيع، حدثنا هشام بن سعد، أخبرني أبي يزيد ابن نعيم بن هزَّال، عن أبيه قال: كان ماعز بن مالك في حِجر أبي، فأصاب جاريةً من الحي، فقال له أبي: ائت رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت، لعلَّه يستغفر لك، فخرج، فأتاه، فقال: يا رسول الله، إني زنيتُ فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه إلى أن أتاه الرابعة، فقال: «إنَّكَ قد قُلْتَها أَربعَ مرَّاتٍ، فبِمَن؟» قال: بفلانة، قال: «هَل ضاجَعْتَها؟ هل جامَعْتَها؟» قال: نعم، فأمر به، فرجم، فوجد مَسَّ الحجارةِ، فخرج يشتد، فلقيه عبد الله ابن أُنَيس، فنزع له بوَظِيفِ بعير، فقتله، فذُكر ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «هَلَّا تَركتُموه، لَعلَّه يَتوبُ، فيَتُوبَ اللهُ عليه، يا هزَّالُ، لو كُنتَ سَترتَه بثَوبِكَ كانَ خيراً لكَ مِمَّا صَنَعتَ بهِ»[(٢)].

وروى ماعز عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمانٌ باللهِ وَحدَهُ، ثم الجِهادُ، ثم حَجَّةٌ مَبرُورَةٌ ـ أو بَرَّةٌ ـ تَفْضُل سائِرَ العَمَلِ، كما بينَ مَطلِعِ الشَّمسِ إلى مَغربِها» أخرجه الإمام أحمد رحمه الله[(٣)].

وقال بريدة[(٤)]: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من غامدٍ، فقالت: يا

---

(١) أخرجه أحمد بتمامه في «المسند» (٢٢٩٤٢)، ومسلم دون قول بريدة الأخير (١٦٩٥). ومن هنا إلى بداية حديث الغامدية ساقط من (ك).

(٢) أحمد في «مسنده» (٢١٨٩٠).

(٣) أحمد في «مسنده» (١٩٠١٠).

(٤) في (ك): «وبهذا الإسناد عن بريدة قال» وكأنه جمع بين حديث ماعز وحديث الغامدية.

رسول الله، إنِّي قد زنيتُ وأُريد أن تطهرني، فقال لها: «ارْجِعي» فجاءته ثانياً وثالثاً، فاعترفت عنده، فقال لها: «ارْجِعي» فقالت: فلعلَّك أن تردَّني كما ردَدْتَ ماعزاً، فوالله إني لَحُبلى، فقال لها رسول الله ﷺ: «أَمَّا الآنَ فاذْهَبي حتى تَلِدِي»، فلما وَلَدت جاءت بالصبي تحمله، فقالت: ها قد وَلَدت، قال: «فاذْهَبي فأَرْضِعيه حتى تَفْطِميه». فلما فطمته، جاءت به، وفي يده كِسْرةُ خبز، فقالت: يا نبي الله، هذا الصَّبي قد فطمته، فأمر رسول الله ﷺ بالصبي، فدفعه إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها، فحفر لها حفرة، فجعلت فيها إلى صدرها، ثم أمر الناس أن يرجُموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى به رأسَها، فنضح الدم على وجه خالد، فسبَّها، فقال عليه السلام: « [مهلاً ياخالد] فَوَالذي نَفسِي بيَدِه، لقد تابَت تَوبَةً، لو تابَها صاحبُ مَكْسٍ لغُفِرَ له». وأمر بها رسول الله ﷺ فصلَّى عليها، ودُفنت. انفرد بإخراجه مسلم[(١)].

وروى الجماعة بقية الحديث مشابهاً لحديث بريدة، وقد اختصرناه.

* * *

وفيها[(٢)]: لاعَنَ رسول الله ﷺ بين رجل وامرأته.

روى الأَعمَش، عن إبراهيم بن عَلقمة، عن ابن مسعود قال: كنَّا جلوساً عشيةَ الجمعة في المسجد، فقال رجل من الأنصار: أحدُنا إذا رأى معَ امرأتِه رجلاً قتله قتلتموه، وإن تكلم حديتموه، وإن سكت سكتَ على مضض أو غيظ؟! و الله لئن أصبحت صالحاً لأسألن رسول الله ﷺ، قال: فسأله كما سأل ابنَ مسعود، فقال: «اللَّهمَّ افتح» يرددها، فنزلت آية اللِّعان، فابتلي ذلك الرجل مِن بين الناس، فجاء هو وامرأته، فتلاعنا عند رسول الله ﷺ فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، والتعنت المرأة أيضاً[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٥) (٢٣)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٩٤٩).

(٢) الخبر ليس في (ك).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٩٥).

وفي أفراد البخاري، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ـ ﷺ ـ بشريك بن سَحماء، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «البَيِّنَةَ، أو حدٌّ في ظَهرِكَ» فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البيِّنة؟! وجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «البَيِّنَةَ وإلا حدٌّ في ظَهرِكَ»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولَيُنزلنَّ الله ما يُبرِّئ ظهري من الحد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦]. فأرسل النبي ـ ﷺ ـ إليها، فجاءت، وقام هلال، فشهد، والنبي ﷺ يقول: «اللهُ يَعلَم، إنَّ أَحدَكُما كاذِبٌ، فَهَل منكُما تائِبٌ؟». ثم قامت، فشهدت، فلما كان عند الخامسة، وقَّفوها، وقالوا: إنَّها موجبةٌ، قال ابن عباس: فتَلكَّأَت، ونَكَصت حتى ظنَّنا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضحُ قومي سائِرَ اليوم، فمضت، فقال رسول الله ﷺ: «انظُروها، فإن جاءَت به أَكْحَل العينَينِ، سابغَ الألْيَتين، خَدَلَّجَ السَّاقَين، فهو لشَريك بن سَحماء» فجاءت به كذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لَولا ما مَضَى مِن كِتابِ اللهِ لَكانَ لي ولَها شَأنٌ»[١].

* * *

وفيها: أسلم كعب بن زهير بن أبي سُلمى الشاعر[٢]، وكان خرج كعب وأخوه بُجَير[٣] بن زهير إلى أبرق العَزَّاف، وكان قريباً من زرود، فقال بجير لأخيه: أقم أنت في النعم حتى آتي هذا الرجل، فأسمع كلامه، وأعرف ما عنده، فأقام كعب، ودخل بجير على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، فدعاه إلى الإسلام، فأسلم، وبلغ كعباً، فقال: [من الطويل]

أَلَا أَبلِغا عنِّي بُجَيراً رسالةً ... على أيِّ أمرٍ دِنْتَ غيرك دلكا
على خُلُق لم تُلفِ أُمًّا ولا أبا ... عليهِ ولم تُدرك عليه أَخاً لكَا
سقاك أبو بكر بكأسٍ رويَّةٍ ... وأَنْهَلَك المأمون منها وعلَّكا

فاتصل ذلك برسول الله ـ ﷺ ـ فأهدر دمه، وقال: «مَن لَقِيَ كَعباً فلْيقتُلْهُ»، فكتب إليه

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤٧). قوله «سابغ الأليتين»: تامهما، و«خدلج الساقين»: عظيمهما.
(٢) الخبر في (ك) إلى هنا فقط.
(٣) في (أ) و(خ): «يحيى» والمثبت من «الإكمال» ١/ ١٩١ و«الإصابة» ١/ ١٣٨.

أخوه بُجَير يخبره بذلك، ويقول: النجاء، وما أظنك ناجياً، وإن رسول الله ﷺ ما جاءه أحد قط يفوه بالشهادتين إلا قَبله، ولم يؤاخذه بما تقدم قبل الإسلام، قال كعب: فقدمت المدينة، فأنخت راحلتي على باب المسجد، ودخلته، ورسول الله ﷺ جالس بين أصحابه مثل موضع المائدة من القوم، وهم متحلقون حوله حلقة ثم حلقة ثم حلقة، فيقبل على هؤلاء مرة، ثم على هؤلاء، فدنوت منه، وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال: «مَن أَنْتَ؟» قلت: كعب بن زهير، فقال: «الذي يَقولُ ما يَقُولُ؟» ثم أقبل على أبي بكر رضي الله عنه فاسْتَنشَدَه الشعر إلى أن قال:

سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمور......

فقال: يا رسول الله، ما قلتُ هكذا، قال: «فَكَيفَ قُلتَ؟» قال: قلت: وأنهلك المأمون بالنون، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَأمُونٌ والله» ثم اسْتَنشَدني، فأنشدته: [من البسيط]

بانَت سُعادُ فقلبي اليوم متبولُ...........

فلما بلغت إلى قولي:

نُبِّئتُ أنَّ رسولَ الله أَوعَدَني والعفوُ عندَ رسولِ الله مَأمولُ

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «والعفوَ عندَ رسولِ الله مأمولُ»، فلما قلت:

لا تأخذنِّي بأقوالِ الوُشاةِ ولم أُذنبْ ولو كَثُرتْ فيَّ الأقاويلُ

فقال: «لا»، ثم أعطاني بردته من على كتفيه، فبعتها بعد بعشرين ألفاً[1]، وهي التي اشتراها معاوية، فكانت عند بني أمية، ثم انتقلت إلى بني العباس.

* * *

وفيها: آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً.

واختلفوا في سببه على أقوال:

أحدها: حديث العسل، قالت عائشة رضوان الله عليها: كان رسول الله ﷺ يحبُّ الحلوى والعسلَ، وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فيدنو منهن، فدخل يوماً على

(١) الخبر في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٠٧، وانظر «السيرة» ٢/ ٥٠١.

حفصة، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبسُ، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةَ عسلٍ، فسقت رسول الله ﷺ منها، فقلت: والله لنحتالن له، فذكرتُ ذلك لسودة، وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله، أكلت مغافيرَ؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي: ما هذه الريح؟ وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه ريح، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة من عسل، فقولي له: جَرَسَت نحلهُ العُرْفُط، وسأقول له ذلك، وقولي أنت له يا صفية، فلما دخل على سودة قالت له ذلك، ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: ألا أسقيك يا رسول الله منه؟ فقال: «لا حاجةَ لي فيه». أخرجاه في «الصحيحين»(١).

والثاني: أن حفصة بنت عمر رضي الله عنها استأذنت رسول الله ﷺ أن تزور أباها فأذن لها، فلما خرجت من البيت، أرسل رسول الله - ﷺ - إلى مارية القِبطية، فجاءت، فواقعها في بيت حفصة، وجاءت حفصة، فرأت الباب مقفلاً، فجلست تبكي عند الباب، وخرج رسول الله - ﷺ فرآها تبكي ووجهه يقطر عرقاً، فقال لها: «ما يُبكيكِ؟» فقالت: إنما أذنت لي حتى تدخل أمتك بيتي، وتقع عليها في فراشي وفي يومي، ما رعيت حقي، ولا حفظت حرمتي، ما كنت تصنع هذا بامرأة من نسائك، فقال لها: «اسكُتي، فهي حرامٌ عليّ، ألْتمسُ بذلك رضاكِ، فلا تُخبري بهذا امرأةً منهنَّ، هو عندك أمانة» ولما خرج رسول الله ﷺ من عند حفصة، قرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة رضوان الله عليها وقالت: ألا أبشرك أن رسول الله - ﷺ - قد حرم عليه أمته مارية، فقد أراحنا الله منها، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على جميع أزواجه، وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ الآية [التحريم: ١ ـ ٢]. في العسل ومارية(٢).

والثالث: أن رسول الله ﷺ ذبح شاة، فقسمها بين أزواجه، وبعث منها إلى زينب بنت جحش، فردته، ثم أرسل إليها، فردته، فاستشاط غضباً، فآلى منهن.

وقال البخاري: حدَّثنا أحمد بن محمد المُزني، حدَّثنا عمرو بن يحيى، عن جده،

(١) البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤) (٢١).

(٢) الخبر عند البغوي في «تفسيره» ٤/ ٣٦٣.

عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] حتى حج عمر، وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل، وعدلت معه بالإداوة، فتبرَّز، ثم أتاني، فسكبت على يديه، فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان قال الله فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: واعجباً لك يا ابن عباس، قال الزهري: كره والله ما سأله عنه، ولم يكتمه، قال: هما عائشة وحفصة، ثم ساق الحديث، فقال:

كنا معاشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، فغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت ذلك، فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ ليراجعنه، وتهجره إحداهن من اليوم إلى الليل، قال: فانطلقت، فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعن رسول الله ﷺ وتهجره إحداكن إلى الليل؟ قالت: نعم، قلت: قد خاب من فعلَت ذلك منكن وخسرت، أفتأمن أن يغضب الله عليهالغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعيه، ولا تسأليه شيئاً، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك جارتك، هي أوسم منك، وأحب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ منك، يريد عائشة رضوان الله عليها، قال: وكان لي جار من الأنصار، قال: فكنا نتناوب النزول إلى النبي ﷺ فينزل يوماً، ويأتيني بخبر الوحي، وآتيه بمثل ذلك، وكنا نتحدث أن غسان تنعِل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي يوماً، ثم أتاني عشاء فضرب بابي، ثم ناداني، فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم، قلت: وما ذاك؟ جاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلَّق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخَسِرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون.

حتى إذا صليت الصبح شددت عليَّ ثيابي، ثم نزلت، فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في مشربة، قال: فأتيت غلاماً له أسود، فقلت: استأذن لي على رسول الله ﷺ أو استأذن لعمر، فدخل، ثم خرج، وقال: قد ذكرتك له فصمت، فخرجت، فجلست عند المنبر وإذا

عنده رهط يبكون، ـ أو يبكي بعضهم ـ ، فجلست قليلاً، ثم غَلَبني ما أجد، فأتيت الغلام، فقلت: استأذن لعمر، فدخل، ثم خرج، فقال مثل الأول، ثم فعلت ذلك الثالثة، فقال لي مثل ذلك، فوليت مدبراً، فإذا الغلام يدعوني، فقال: ادخل، فقد أذن لك، فدخلت على رسول الله ﷺ فسلمت عليه وهو متكئ على رمال حصير قد أثَّر في جنبيه، فقلت: يا رسول الله، أطلقت نساءك؟ فرفع رأسه إلي، وقال: «لا»، فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا معاشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن منهن، فغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، وذكر بمعنى ما ذكرنا، قال: فتبسم رسول الله ﷺ فقلت: أستأنسُ يا رسول الله؟ قال: «نَعَم»، فجلست، ورفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة[1] ثلاثة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدع الله أن يوسع عليك وعلى أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدونه، فاستوى جالساً، ثم قال: «أَفي شَكٍّ أنتَ يا ابنَ الخطَّابِ؟ أُولئكَ قَومٌ عُجِّلَت لهم طَيِّباتُهم في الحياةِ الدُّنيا» فقلت: استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل على نسائه شهراً لأجل ذلك الحديث حين أفشته حفصةُ إلى عائشة من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عليه.

قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة قالت: لما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بي رسول الله ﷺ فدخل علي فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت أن لا تدخل على نسائك شهراً، أو علينا، وإنك دخلت عن تسع وعشرين، أعدُّهن، فقال: «إنَّ الشَّهرَ تسعٌ وعِشرونَ» وفي رواية: وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة، ثم قال: «يا عائشةُ، إنِّي ذاكرٌ لكِ أَمراً، فلا عليكِ ألَّا تَعجَلي حتى تَستَأمِري أبويكِ»، ثم قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٣٥] فقالت: قد علم والله أنَّ أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، فقلت: أفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم قلت: يا رسول الله، لا تخبر نساءك أني اخترتك، فقال: «إنَّ اللهَ أَرسَلَني مُبَلِّغاً، ولم يُرسِلني مُتَعنِّتاً»، وقال عمر لحفصة: والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك، ولولا أنا لطلقك، واستأذن عمر

(١) في (ك) زيادة: «والأهبة هي الجلد لم يدبغ».

رسول الله ﷺ أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه، فأذن له، فقام عند المنبر، وقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، وقال له عمر: يا رسول الله، إن كنت طلقتهن فإن الله معك، وملائكته، وجبريل، وميكائيل، وأنا، وأبو بكر والمؤمنون، ونزلت آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[١] [إلى قوله: ﴿وَأَبْكَارًا﴾ الآية [التحريم: ٥].

وفي الباب عن جماعة من الصحابة، ولمسلم عن جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ صباح تسعاً وعشرين فقلنا له في ذلك، فقال: «إنَّ الشهر يكونُ تسعةً وعشرين يوماً» ثم طبق رسول الله بيده ثلاثاً ثم خنس إبهامه في الثالثة[٢]، وكذا في حديث ابن عمر أنه خنس إبهامه[٣].

وفي المتفق عليه عن عائشة: لما خيرها رسول الله ﷺ قالت: قد خيرنا رسول الله، فاخترناه، أفكان طلاقاً][٤].

[فإن قيل: فقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾][٥] يشعر بأن غيرهن خيراً منهن، قلنا: هذا خرج مخرج التهديد، لا أن في الأمة من هو خير منهن، والدليل عليه أن الله قد علم أنه لا يطلقهن، وصاركقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ الآية [محمد: ٣٨] فكان إخباراً عن القدرة لا عن الكون في الوقت.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم أنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] إذا حلفتم أن تكفروها، وكفَّر رسول الله - ﷺ - عن يمينه، ورجع إلى جاريته، وإلى ما حلف عليه.

* * *

وفيها: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضوان الله عليه فحج بالناس.

كان رسول الله ﷺ قبل أن تنزل براءة، قد عاهد أناساً من المشركين عهداً،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٠٨٤).
(٣) أخرجه مسلم (١٠٨١) (١٦).
(٤) أخرجه البخاري (٥٢٦٣)، ومسلم (١٤٧٧)، وما بين معقوفين زيادة من (ك).
(٥) ما بين معكوفين من (ك).

فاستعمل على الحج أبا بكر رضوان الله عليه، فخرج من المدينة في ثلاث مئة، ومعه عشرون بدنة قلَّدها رسول الله ﷺ النعال، وأشعرها بيده في الجانب الأيمن، واستعمل عليها ناجية بن جُنْدب الأسلمي، وساق أبو بكر خمس بدنات، وحج عامئذ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فأهدى بدناً، وأهلَّ أبو بكر رضوان الله عليه من ذي الحُلَيفة، وسار حتى إذا كان بالعَرْج في السحر سمع رُغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء، فقال: هذه القَصْواء، وإذا بعليٍّ كرم الله وجهه فقال له: استعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ على الناس براءة، وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أبي بكر رضوان الله عليه أن يخالف المشركين، فيقف يوم عرفة بعرفة، ولا يقف بجمع، ولا يدفع من عرفة حتى تغرب الشمس، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس، فقدم أبو بكر رضوان الله عليه مكة، وكان مفرداً بالحج، فخطب الناس قبل يوم التروية بيوم بعد الظهر، فلما كان يوم التروية حين زاغت الشمس طاف بالبيت سبعاً، ثم ركب راحلته من باب بني شيبة، وخرج إلى منًى، فأقام بها، وصلى الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والصبح بمنًى، فلما طلعت الشمس على ثبير، ركب راحلته، فوقف بالهضبات من عرفة، فلما أفطر الصائم دفع، وكان يسير العَنَق حتى انتهى إلى جَمْع، فنزل قريباً من الماء التي على قزح، فلما طلع الفجر صلى الفجرَ، ثم وقف، فلما أَسفَر دفع، وجعل يقول في وقته: أيها الناس، أَسفروا، قالها مرتين، ثم دفع قبل طلوع الشمس، وكان يسير العَنَق، حتى انتهى إلى مُحَسِّر، فأوضع راحلته، فلما جاوز وادي محسر عاد إلى مسيره الأول، حتى رمى الجمرة راكباً بسبع حصيات، ثم رجع إلى المنحر، فنحر وحلق، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النحر براءة عند الجمرة، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا يحجُّ بعدَ هذا اليومِ مُشركٌ، ولا يطوفُ بالبيتِ عُريانٌ»، وكان أبو هريرة يقول: حضرت ذلك اليوم، فكان يقول: هو يوم الحج الأكبر، وخطب أبو بكر رضوان الله عليه في حجته ثلاث خطب في ثلاثة أيام لم يزد عليها، قبل يوم التروية بمكة بعد الظهر، وبعرفة قبل الظهر، وبمنًى يوم النحر بعد الظهر، ورمى أبو بكر رضوان الله عليه الجمار ماشياً، فلما كان يوم الصَّدَر رمى ماشياً، فلما جاوز العقبة ركب، ويقال: إنه رمى يومئذ راكباً، فلما انتهى إلى الأبطح صلى به الظهر والعصر، ودخل مكة، فصلى المغرب

والعشاء، ثم خرج من ليلته قافلاً إلى المدينة[١].

* * *

وفيها: توفي النجاشي[٢] ـ واسمه أَصْحَمة ـ ملك الحبشة، الذي هاجر إليه المسلمون فأحسن إليهم، وزوَّج رسولَ الله ﷺ أمَّ حبيبة ﵄ وجهز إليه جعفراً، وكانت وفاته في رجب.

[قال هشام: ورسول الله ﷺ بتبوك فنعاه إلى أصحابه، وصلى عليه لما عاد من تبوك وبلغه خبره].

قال الإمام أحمد ﵁: حدَّثنا يحيى بن سعيد، حدَّثنا مالك، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: نَعَى لنا النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي ماتَ فيه؛ فخرجَ إلى المصلَّى، فصفَّ أصحابَه خلفَه، وكبَّر عليه أربَعاً[٣].

[وفي الباب عن جابر وعمران بن الحصين، وأحاديثهم في «الصحيح» وفيها: «إنَّ أخاً لكم قد ماتَ، فقوموا فَصلوا عليه»[٤]، وهذا يدل على أن النجاشي مات ورسول الله بالمدينة.

وبهذه الأحاديث يحتج الشافعي وأحمد على جواز الصلاة على الميت الغائب، وعند أبي حنيفة ومالك: لا يجوز، وهذا الخلاف يبنى على أن صلاة الجنازة عند أبي حنيفة لا تعاد، لأن الأمة توارثت (ترك الصلاة على رسول الله ﷺ والخلفاء والصحابة، ولو جاز لما ترك مسلم الصلاة عليهم)[٥] والشافعي يقول بتكرار الصلاة كما في الصلاة على النجاشي، وجوابه من وجوه:

أحدها: لأن النبي ﷺ كان وليه، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

---

(١) النقل عن «المغازي» ٣/ ١٠٧٦ ـ ١٠٧٨.

(٢) «تاريخ الطبري» ٣/ ١٢٢، و«المنتظم» ٣/ ٣٧٥.

(٣) أحمد في «مسنده» (٩٦٤٦)، وأخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٧٧)، ومسلم (٩٥٢) (٦٦) من حديث جابر ﵁، وأخرجه مسلم (٩٥٣) من حديث عمران بن الحصين ﵁.

(٥) ما بين قوسين زيادة من بدائع الصنائع ١/ ٣١١.

والثاني: لأن الأرض زويت له، ولهذا صف أصحابه خلفه، فكان من معجزاته.

والثالث: لأنه لم يكن في الحبشة من يعرف الصلاة عليه، لأنهم كانوا حديثي الإسلام، فكان ذلك من خصائصه.

وقد أخرج أبو داود[١] عن] عائشة رضي الله عنها لما مات النجاشي كانوا يتحدَّثون أنهم لا يزالون يرون النُّور على قبره[٢].

[وقد أخرج أحمد في «المسند» حديثاً يتعلق بالنجاشي، فقال: حدَّثنا ابن النضر بإسناده عن عامر بن شهر قال: سمعت كلمتين من رسول الله ﷺ، يقول: «انظُروا قُريشاً فَخُذوا من قَولِهم وذَروا فِعلَهم» وكنت عند النجاشي جالساً فجاء ابنه بشيء من الكتاب، فقرأ آية من الإنجيل فعرفتها أو فهمتها، فضحكت، فقال: مم تضحك؟ أمن كتاب الله؟ فوالله إن مما أنزل على عيسى بن مريم أن اللعنة تكون في الأرض إذا كان أمراؤها الصبيان[٣].

ولم يخرج أحمد عن عامر بن شهر غير هذا الحديث].

وفيها توفيت

أم كلثوم[٤] عليها السلام

بنت رسول الله ﷺ [وأمها خديجة، وقد ذكرنا أنه قد] كان تزوجها في الجاهلية عُتيبة بن أبي لهب، ثم طلقها لما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [أمره أبوه بطلاقها] ولم يكن دخل بها، وهي بكر.

[قال جدي في «التلقيح»]: فأقامت مع رسول الله ﷺ بمكة، وأسلمت، وبايعت، [ولما أسلمت أمها وأخواتها] وهاجرت إلى المدينة، فلما توفيت رقية سلام الله عليها بنت رسول الله ﷺ زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه فزوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم، فتوفيت

(١) ما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٢٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٥٣٦). وما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٤) «الطبقات» ١٠/ ٣٧، و«المنتظم» ٣/ ٣٧٥، و«الإصابة» ٤/ ٤٨٩.

في شعبان من هذه السنة، فصلى عليها رسول الله ﷺ، ونزل في حفرتها علي، والفضل، وأسامة رضي الله عنهم[١].

وجلس رسول الله ﷺ على قبرها، وقال: «لو كان لنا ثالثة لزوَّجناها عُثمان»[٢]، ولم تلد من عثمان رضوان الله عليه. وغسلتها أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب، وقيل: غسلتها نساء من الأنصار، منهم أم عطية، ونزل أبو طلحة في قبرها.

[وذكر ابن سعد بإسناده عن] أنس: رأيت رسول الله ﷺ جالساً على قبر أم كلثوم وعيناه تدمعان، فقال رسول الله ﷺ: «أفيكم أحد لم يقارف الليلة» فقال أبو طلحة: أنا، فقال: «انزل في قبرها» فنزل[٣]. [ومعنى قارف: أي جامع، ومنه حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يصبح جنباً من قرافٍ غير احتلامٍ، ثم يصوم[٤].

قلت: وفي الصحابيات أربع يقال لكل واحدة منهن: أم كلثوم، وإحداهن: ابنة رسول الله، لها رواية.

والثانية: بنت أبي سلمة. والثالثة: بنت أبي بكر الصديق. قال ابن سعد: ولم ترو عن رسول الله شيئاً. والرابعة: بنت عقبة بن أبي معيط، وروت منهن اثنتان الحديثَ عن رسول الله ﷺ: بنت أبي سلمة، وبنت أبي معيط، وأخرج عن هذه في «الصحيحين»[٥].

والكلثوم: الكثيرة لحم الخدين والوجه، هكذا ذكره الجوهري][٦].

* * *

(١) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٣١ ـ ٣٢.

(٢) «الطبقات» ٣/ ٥٣، وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٧/ (٤٩٠) من حديث عصمة بن مالك. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٨٣: وفيه الفضل بن المختار، وهو ضعيف.

(٣) «الطبقات» ١٠/ ٣٨.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الغريب» ٤/ ٣٢٣.

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً...».

(٦) «الصحاح»: (كلثم). وما بين معقوفين زيادة من (ك).

سهيل بن بيضاء[(١)]

وبيضاء لقب أمه، واسمها دعد بنت جحدم من بني فهر، وأبوه وهب بن ربيعة بن هلال من بني فهر، وكنية سهيل: أبو موسى، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي مرجعه من تبوك، وصلى عليه رسول الله ﷺ في المسجد.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما أسرع ما نسي الناس، وهل صلى رسول الله ﷺ على سهيل ابن بيضاء إلا في المسجد؟ أخرجه مسلم[(٢)].

وإنما قالت ذلك لما أنكر الناس عليها الصلاة على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - في المسجد.

وتوفي سهيل رضي الله عنه وهو ابن أربعين سنة، وليس له عقب، وكان له أخوان:

سهل، أسلم قبل الهجرة بمكة، فأكرهه المشركون على الخروج إلى بدر، فأسر، فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلي بمكة، فأطلقه رسول الله ﷺ بغير فدية.

وصفوان بن بيضاء، أسلم وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وكنيته أبو عمرو، واختلفوا في وفاته، فقيل: استشهد يوم بدر، قتله طعيمة بن عدي بن الريان، وقيل: مات سنة ثمان [وثلاثين][(٣)]، وليس له عقب.

روى سهيل عن رسول الله ﷺ الحديث. قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا قتيبة بن سعيد، أنبأنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن سعيد بن الصَّلت، عن سهيل بن البيضاء قال: بينا نحن في سفر مع رسول الله ﷺ وأنا رديفه، فقال رسول الله ﷺ: «يا سُهيلُ» رفع صوته مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يجيبه سهيل، فسمع الناس صوت رسول الله ﷺ فظنوا أنه يريدهم، فحبس من كان بين يديه، ولحقه من كان خلفه، حتى إذا اجتمعوا، قال رسول الله ﷺ: «إنَّه مَن شَهدَ أن لا إله إلا الله، حرَّمَه الله على النَّار، وأدخلَه الجنَّةَ»[(٤)].

---

(١) «الطبقات» ٣/ ٣٨٤، و«المنتظم» ٣/ ٣٧٦، «الإصابة» ٢/ ٩١. وهذه الترجمة ليست في (ك).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٣).

(٣) زيادة من «الطبقات» ٣/ ٣٨٥.

(٤) أحمد في «مسنده» (١٥٧٣٨).

ويقال: إن ذلك كان في غزاة تبوك.

[وفيها: توفي]

عبد الله بن أبي

[ابن سلول المنافق[(١)]]، وأبي هو ابن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم، ويعرف سالم بالحُبْلَى، وسلول امرأة من خزاعة وهي أم أُبَي بن مالك، وأم عبد الله بن أبي خولة بنت المنذر بن حرام[(٢)]، من بني النجار، وعبد الله سيد الخزرج في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد جمعوا له الخرز ليتوجوه، حسد عبد الله بن أبي بن مالك[(٣)] رسولَ الله ﷺ، وبغى عليه، ونافق، فاتضع شرفه.

[وقد ذكره الواقدي في «المغازي» فقال:] ومرض في ليالي من شوال، ومات في ذي القعدة، فكان مرضه عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ يعوده فيها، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فقال له رسول الله ﷺ: «قد نهيتك عن حب يهود» فقال عبد الله: قد أبغضهم سعد بن زرارة فما نفعه، ثم قال ابن أبي: يا رسول الله، ليس بحين عتاب، هو الموت، إن مت فاحضر غسلي، وأعطني قميصك أكفن فيه، فأعطاه قميصه الأعلى، وكان عليه قميصان، فقال: أريد الذي يلي جلدك، [فنزع قميصه الذي يلي جلده] فأعطاه، ثم قال: صل علي، واستغفر لي.

[قال الواقدي: وكان جابر بن عبد الله يقول خلاف هذا، يقول: جاء رسول الله ﷺ بعد موت ابن أبي إلى قبره فأمر به فأخرج، فكشف عن وجهه ونفث عليه من ريقه، وأسنده إلى ركبتيه وألبسه قميصه.

قال الواقدي: والأول أثبت عندنا أن رسول الله] حضر [جنازته و] غسله، وتكفينه، ثم حمل إلى موضع الجنائز، فتقدم رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فوثب عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد قال يوم كذا كذا، ويوم كذا كذا، يعدُّ عليه، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أَخِّر عنِّي يا عمرُ» فلما

(١) ما بين معقوفين زيادة من (ك)، وانظر جمهرة ابن حزم ٣٥٤، والمنتظم ٣/ ٣٧٧، وطبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٠.

(٢) في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠١ أن خولة أم عبد الله بن عبد الله، فهي زوجة عبد الله بن أبي.

(٣) في (ك): عبد الله بن أبي سلول.

أكثر عليه قال رسول الله ﷺ: «إنِّي قد خُيِّرت، فاخترتُ، ولو أعلَم أنِّي إذا زِدتُ على السبعينَ غُفر له زدتُ عليها» وهو قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] فصلى عليه رسول الله ﷺ وانصرف، فلم يكن إلا يسيراً حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾الآية [التوبة: ٨٤].

[ويقال: إنه لم تزل قدماه حتى نزلت عليه هذه الآية فعرف رسول الله في هذه الآية المنافقين، وكان من مات لم يصل عليه].

وقال مجمع بن جارية: ما رأيت النبي ـ ﷺ ـ أطال الوقوف على جنازة مثل ما أطال على جنازة عبد الله. وقال أنس: شهدت رجليه وقد فضلتا السرير من طوله.

وقالت أم عمارة: ما تخلف أحد من الأوس والخزرج عن جنازته، ورأيت ابنته جميلة بنت عبد الله تقول: واجبلاه، وأبتاه، ما ينهاها أحد، ولا يعيب عليها.

وقال عمرو بن أمية الضمري: لقد جهدنا أن ندنو من جنازته أو سريره، فما قدرنا عليه، غلبنا عليه المنافقون من بني قينقاع وغيرهم سعد بن حُنيف، وزيد بن اللُّصَيت، وسلامة بن الحمام، ومعاذ بن أبي عمرو(١)، ورافع بن حرملة، وداعِس، وسويد، وكانوا يظهرون الإسلام وهم أخابث المنافقين، وكانوا هم الذين يمرضونه، وكان ابنه عبد الله بن عبد الله ليس عليه شيء أثقل ولا أعظم من رؤيتهم، وكان به بطن، فكان ابنه يغلق الباب دونهم، وكان أبوه يقول: لا يليني غيرهم، ويقول لهم: أنتم أحب إلي من الماء على الظمأ، ويقولون: يا ليت أنَّا نفديك بالأرواح والأولاد والأموال، فلما وقفوا على حفرته، [ورسول الله واقف يلاحظهم ازدحموا على النزول في حفرته] وارتفعت الأصوات حتى أصيب أنف داعس، وجعل عبادة بن الصامت يذبُّهم، ويقول لهم: اخفضوا أصواتكم عند رسول الله ﷺ فنزل في حفرته رجال من قومه أهل فضل وإسلام، ولم ينزل أحد من المنافقين، فنزل ابنه(٢) وسعد بن عبادة، وعبادة بن الصامت، وأوس بن خَولي لما رأوا رسول الله ﷺ قد حضره، وكفنه، ووقف عليه.

---

(١) في «المغازي»: «نعمان بن أبي عامر».

(٢) في النسخ: «أبوه» والمثبت من المغازي.

وزعم مجمع [بن جارية] أن النبي ﷺ دلاه بيده إلى حفرته، ثم قام على القبر حتى دفن، وعزى ابنه، ثم انصرف، وجعل المنافقون يحثون التراب على رؤوسهم، ويقولون: ليت أنا فديناك بالأنفس وكنا قبلك(١). [هذا معنى ما ذكر الواقدي.

وقال هشام: مرض عبد الله أول شوال، وأقام مريضاً إلى العشرين منه، ثم بعث إلى رسول الله، فجاء فجلس عنده، فقال: «يا عبد الله أهلكك حب اليهود» فقال: يا رسول الله، إني لم أبعث إليك لتؤنبني وتوبخني، ولكن لتشهدني وتكفنني في قميصك وتستغفر لي وتقف على قبري، ومات في هذا اليوم، وعاد رسول الله إلى منزله، ولما مات انطلق ابنه عبد الله بن عبد الله ـ وكان اسمه الحُباب، فسماه رسول الله: عبد الله، فقال: «أنت عبد الله، والحباب شيطان» وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وشهد بدراً مع رسول الله مسلماً، وكان يصعب عليه صحبة أبيه للمنافقين، وهو الذي جلس على باب المدينة ومنع أباه في غزوة المريسيع من دخولها، وقد ذكرناه ـ فقال: يا رسول الله، مات عبد الله، فقام رسول الله معه وشهد جنازة عبد الله وفعل ما ذكره الواقدي، وما كان إلا اليسير حتى نزلت هاتان الآيتان اللتان هما قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ الآية [التوبة: ٨٤] فما صلى على قبر منافق ولا قام عليه حتى قبضه الله تعالى. أخرجاه في «الصحيحين»(٢).

وفيها توفي

ذو البِجادين

ـ بدال مهملة ـ واسمه] عبد الله بن عبد نُهْم بن عفيف المزني، وأمه جَهْمَة بنت الحارث، همدانية، وهو من الطبقة الثانية من المهاجرين، [قال ابن سعد:] وكان يتيماً لا مال له، مات أبوه ولم يورثه شيئاً، فكفله عمه حتى أيسر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه خوفاً من عمه، حتى مضت المشاهد كلها، فقال له: يا عم قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً، فأْذَن لي في الإسلام، فقال له: والله لئن أسلمتَ لا تركت في يدك شيئاً كنتُ أعطيتُكه إلّا نزعتُه منك

---

(١) «المغازي» ٣/ ١٠٥٧ ـ ١٠٦٠، وما بين معقوفين زيادة من (ك).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٦)، ومسلم (٢٧٧٤). وما بين معقوفين زيادة من (ك).

حتى ثوبيك، فقال: أنا والله تابع محمداً ﷺ، وتاركٌ عبادة الحجر، وهذا ما بيدي فخذه، فأخذ ما بيده حتى جرَّده من إزاره، فأتى أمه، فقطعت له بجادها قطعتين، فاتزر بواحدة، وارتدى بالأخرى [والبجاد كساء مخطط من أكسية الأعراب].

ثم قدم المدينة، وكان قد أقام بورقان جبل من جبالها، فدخل المسجد، فاضطجع فيه، وكان رسول الله ﷺ يتصفح وجوه الناس إذا انصرف من صلاة الصبح، فلما نظر إليه أنكره، فقال: «مَن أنت؟» فانتسب له، وكان اسمه عبد العزى، فقال: «أنتَ عبدُ الله ذو البِجادَين»، ثم أنزله قريباً منه، فكان في ضيافته، وعلمه القرآن حتى قرأ قرآناً كثيراً، وكان صيتاً يرفع صوته بالقرآن، فقال عمر رضوان الله عليه: يا رسول الله، ألا ترى إلى هذا الأعرابي قد منع الناس القراءة، فقال: «دعهُ يا عُمرُ، فإنَّه خرج مُهاجراً إلى الله ورسولِهِ»، ثم خرجوا إلى تبوك، فقال: يا رسول الله، ادع لي بالشهادة، فقال: «أَبغِني لحاء سَمُرةٍ» فربطها في عضده، وقال: «اللَّهمَّ إنِّي أُحرِّم دَمَه على الكفَّارِ» فقال: يا رسول الله، ليس هذا أردت، فقال: «إنَّك إذا أخذتكَ الحمَّى كنتَ شهيداً وإن وقصتك دابتك فأنت شهيد»، وأقام رسول الله ﷺ بتبوك أياماً، فتوفي ذو البجادين بها.

قال بلال بن الحارث: حضرت مع رسول الله ﷺ ومع بلال شعلة من نار عند القبر واقفاً بها، وإذا رسول الله ﷺ في القبر وأبو بكر وعمر رضوان الله عليهما يدليانه على رسول الله ﷺ وهو يقول: «دَلِّيا إلي أخاكُما» فلما هيأه[(١)] لشقه في اللَّحد قال: «اللَّهمَّ إنِّي أمسيتُ راضياً عنه فارضَ عنه» فقال ابن مسعود: ليتني كنت صاحب الحفرة، ولقد أسلمت قبله بخمس عشرة سنة، وترك ابنة فقضى بها رسول الله ﷺ لأمها.

[وفيها توفي]

معاويةُ بن معاوية

الليثي، وقيل: المزني، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، قال [ابن سعد بإسناده عن العلاء أبي محمد الثقفي قال: سمعت] أنس بن مالك: كنت مع رسول الله ـ ﷺ ـ

(١) في (أ،خ): أنهياه، والمثبت من (ك)، و«الطبقات» ٥/ ١٣٨ ، وانظر «المنتظم» ٣/ ٣٧٦ ، و«الإصابة» ٢/ ٣٣٨.

بتبوك إذ طلعت الشمس بيضاء مضيئة لا شعاع لها ولا نور، لم ير فيما طلعت لذلك، فسأل جبريل عن ذلك، فقال: مات اليوم بالمدينة معاوية بن معاوية الليثي، فبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه، قال: «وفيمَ ذلك؟» قال: كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في الليل والنهار، وفي ممشاه، وقيامه وقعوده، ويحبها، فهل لك يا محمد أن أقبض لك الأرض حتى تصلي عليه؟ قال: «نعم» فقبضها، فصلى عليه[(١)].

[وليس في الصحابة من اسمه معاوية بن معاوية غيره، وله صحبة ورواية، وأخرج له أحمد حديثاً واحداً، فقال: حدثنا سليمان بن داود الطيالسي بإسناده إلى] معاوية بن معاوية: قال رسول الله ﷺ: «يكونُ الناسُ مُجْدِبينَ فينزِّلُ الله عليهم رِزقاً من رِزقِهِ، فيُصبِحونَ مُشرِكينَ» فقيل له: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ فقال: «يَقُولونَ: مُطِرنا بنَوءِ كَذا وكَذا»[(٢)].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ١٣٠.
(٢) أحمد في «مسنده» (١٥٥٣٧).

obeikandl.com